

سلسلة نور المحبين (6)



أَوْصِيَاؤُ سَيِّدِنَا الرَّسُولِيِّ

صلى الله عليه وسلم

ترتيب وتعليق

مصطفى رضا الأزهري



المطبعة للنشر والتوزيع

أوصاف النبي ﷺ

ترتيب وتعليق

مصطفى رضا الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي اختار سيدنا محمد ﷺ من الخلق أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين وجعل من جملة أمته الأنبياء والمرسلين، إذ أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به وبنصرته وقال اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﷺ وعليهم وعلى آلهم و أصحابهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فهذه رسالة بديعة في فضائل النبي الشفيح، وعلو قدره الرفيع ﷺ اختصرتها من موسوعة الإمام النبهاني الذي سهاها : «جواهر البحار في فضائل النبي المختار»، فقد جمع الإمام النبهاني فيها كثيرًا مما ورد في الكتاب والسنة، وكلام أئمة الأمة، من أهل الشريعة والحقيقة في أوصاف سيد الخليفة ﷺ ، فنقل الفرائد المهمة، والفوائد الجمّة عن أكابر العارفين، وأئمة الدين.

فكانت هذه الموسوعة التي حوت دررًا من فضائله ﷺ لم يجمعها من قبلها ديوان، فهي بحق أعظم هدية في هذا الزمان لأهل الإيمان؛ حيث جمعت جواهره الحسان، من بحار العلم والعرفان، مما أخذه العلماء من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمشاهدات العرفانية فكل ما قالوه في ذلك هو حق صحيح؛ لاستنادهم فيه إلى القرآن أو الحديث؛ ولذلك كانوا بعد النبيين والمرسلين والملائكة المقربين أعرف خلق الله بعلو قدر رسول الله، فهنيئًا لكم يا أهل الإيمان، بأبدع مجموع في هذا الشأن، قد اشتمل على كل الحسن وجميع الإحسان؛ وهم مع كل ما أتوا به من المعقول والمنقول، والأوصاف التي تبهر العقول، إنما وصفوه ﷺ بحسب ما وصلت إليه علومهم، وإلا فحقيقة فضله ﷺ لا يدركها إنسان، وحسبك أنه ﷺ حبيب الرحمن، ونتيجة جميع الأكوان(١)، فقل في حقه هو عبد الله ورسوله، ثم لا حرج عليك مهما بالغت، فلن تبلغ ما يجب له ﷺ من الأوصاف الحسان، و يرحم الله الإمام البوصيري؛ حيث قال :

وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتُ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسَبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عِظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيَعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

وقد وصف الإمام النبھانی «موسوعته» بأنها في حكم مجموع رسائل جمع فيه ما قاله كل إمام من أوصاف كاللؤلؤ والمرجان ، من الجواهر الحسان المستخرجة من أعظم بحور العرفان، وقد صدر هذه « الموسوعة » بكلام الإمام المحدث القاضي أبي الفضل عياض؛ لأنه وحيد هذا الفن، وكتابه «الشفاء» نسيجاً وحده، وله به الفضل على كل من جاء بعده؛ لذلك قمنا بتلخيص ما كتبه في «شفائه» الذي شفى الله به القلوب من الأمراض الرادية، وشئف به أسماع المؤمنين بجواهر الأوصاف النبوية ، وطبب أرواح المحبين بذكر سيد المرسلين بنشر فضائله المحمدية، عليه أفضل صلاة وأكمل تحية، وسمينا هذا التلخيص بـ «أوصاف الرسول»، وقد اشتمل تلخيصنا هذا على النقاط التالية :

- تعظيم الله لقدر سيدنا رسول ﷺ قولاً وفعلاً.
- صفات الحبيب ﷺ في التوراة .
- خصائص الحبيب ﷺ .
- تكميل الله له المحاسن خَلْقًا وَخُلُقًا ﷺ .
- وصف عقله ﷺ .
- وصف حلمه واحتماله وعفوه وصبره ﷺ .
- وصف جوده ﷺ .
- وصف شجاعته ﷺ .
- وصف حيائه ﷺ .
- وصف حسن عشرته وأدبه وخلقه ﷺ .
- وصف شففته ورحمته بكل الخلق ﷺ .
- وصف ﷺ خلقه في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم .

- وصف تواضعه ﷺ .
 - وصف عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ .
 - وصف وقاره ومروأته وحسن هديه ﷺ .
 - وصف زهده ﷺ .
 - ذكر حديث الحسن في حلية النبي وشمائله وأوصافه الشريفة ﷺ .
 - في تفسير معاني حديث ابن أبي هالة في وصف النبي ﷺ .
 - عظيم قدره ﷺ عند ربه .
 - ذكر تفضيله بالمحبة والخلة ﷺ .
 - ذكر تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود .
 - فائدة في الفرق بين صفات الخالق والمخلوق .
 - وصف معجزاته بالإجمال ﷺ وأعظمها القرآن .
 - ذكر ماظهر عند ولادته ﷺ من الآيات وخوارق العادات .
 - ذكر ترجيح معجزاته ﷺ على الرسل بكثرتها وعظمتها .
- فأسأل الله - عز وجل - التوفيق والقبول، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

راجي عفو ربه الغني

مصطفى رضا الأزهري

تعظيم الله لقدر سيدنا رسول ﷺ قولاً وفعلاً

إنَّ تعظيم العلي الأعلى لقدر نبيه المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، لا يخفى على من مارس شيئاً من العلم، أو حُصَّ بأدنى لمحة من الفهم.

فإنَّ تعظيم الله تعالى قدر نبينا ﷺ وتخصيصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب، لا تنضبط بزمام، وتنويه من عظيم قدره ﷺ بما تكل عنه الألسنة والأفهام، فمنها ما صرَّح به تعالى في كتابه، ونبَّه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جلَّ جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهَّر وزكَّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعوداً، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة، وتأيينه بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصرها، ورآها من أدركها، وعلمها علم يقين من جاء بعده ﷺ حتى انتهى علم حقيقة ذلك البناء، وفاضت أنواره علينا.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مُلَجَّجًا مُسْرَجًا فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَبُو مُحَمَّدٍ تَفْعَلْ هَذَا فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ قَالَ فَارْفُضْ عَرَقًا»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣١٣١).

ثم اعلم أنّ في كتاب الله - عز وجل - آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى ﷺ وعدّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره، ذكر منها القاضي عياض ما ظهر معناه، وبان فحواه، وها نحن نقتصر هنا على أكثر هذه الجواهر فائدة، وأولاها بالذكر، فإن الحديث عن فضائل الحبيب ﷺ لا يسعها كتاب، ولا يفصح عن حقائقها لسان، والله در البوصيري، حينما قال :

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيعرب عنه ناطقٌ بضم

فمن هذه الجواهر، قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقرأ بعضهم من ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بفتح الفاء، وقراءة الجمهور بالضم.

أعلم الله المؤمنين بهذه الآية أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته، و يعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة.

والمعنى على قراءة ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بفتح الفاء كونه ﷺ من أشرفهم، وأرفعهم وأفضلهم، وهذا نهاية المدح.

ثم وصف الله رسوله ﷺ في هذه الآية بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة، كحرصه ﷺ على هدايتهم، ورشدهم، وإسلامهم، وشدة ما يعتهم و يضر بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته عليه ورأفته، ورحمته بمؤمنيه.

قال ابن عباس : أعطى الله - تعالى - رسوله ﷺ اسمين من أسمائه، هما : «رؤوف، رحيم»^(٢)، وهذا منتهى التشريف والتعظيم .

(٢) أي : شديد الرقة والرحمة بكم - أيها المؤمنون - والرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع، فهو ﷺ يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم .
وقيل : «رؤوف، رحيم» أي : بما يأمرهم به ﷺ من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح.

رُوي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾، قال «نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سَفَاحٌ، كُلُّهَا نِكَاحٌ» (٤).
 وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، قال: « أَرَادَ تَقَلُّبَكَ فِي أَصْلَابِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيِّ إِلَى نَبِيِّ حَتَّى أَخْرَجَكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ » (٥).

وقال جعفر بن محمد: علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك (٦)؛ لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته^٧ فأقام بينهم وبينه مخلوقاً من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقيل: بما يضعه ﷺ عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات.

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين.

(٤) انظر: «تفسير السلمي»: (٢٩٣/١).

(٥) انظر: «تفسير البغوي»: (٤٨٤/٣).

(٦) المراد من ذلك أن الله - عز وجل - لا يمكن أن يُطاع من خلقه كمال الطاعة، وأن يوفوه حقه منها؛ لأنَّ مقدار عظمة الله ليس لها حد، ولذلك جعل الله للعباد سبيلاً ليطيعوه كما ينبغي، وذلك من خلال طاعة نبيه ومصطفاه ﷺ الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

(٧) المراد من ذلك أن الله - عز وجل - لا يمكن أن يُطاع من خلقه كمال الطاعة، وأن يوفوه حقه منها؛ لأنَّ مقدار عظمة الله ليس له حد، ولذلك جعل الله للعباد سبيلاً ليطيعوه كما ينبغي، وذلك من خلال طاعة نبيه ومصطفاه ﷺ الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

قال أبو بكر بن طاهر: « زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ».

ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾، فكانت حياته رحمة ومماته رحمة، كما قال ﷺ: « حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ وَوَمَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ »^(٨).

وكما قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهَا »^(٩).

وقال السمرقندي: «رحمة للعالمين، يعني: الجن والأنس».

وقيل: «لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «هو ﷺ رحمة للمؤمنين، والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة».

وحكي أن النبي ﷺ قَالَ لِجَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(١٠) مُطَاعٌ ثُمَّ آمِنٌ ﴿ [التكوير: ٢٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال كعب، وابن جبير: «المراد بالنور الثاني ههنا محمد ﷺ، فقوله: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾، أي: نور محمد ﷺ، وقد سباه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورًا وسراجًا منيرًا، فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١١) [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ

(٨) أخرجه البزار في «مسنده»: (١٩٢٥).

(٩) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٢٨٨).

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٤٥]، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١]، إلى آخر السورة، والمراد بالصدر: القلب».

قال ابن عباس : شرحه بالإسلام.

وقال سهل: بنور الرسالة.

وقال الحسن : ملاءه حكمًا وعلماً .

قال القاضي عياض - رحمه الله - بعد ذكره لما سبق : «هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعْمِهِ لَدَيْهِ، وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَايَةِ، وَوَسَّعَهُ لَوَعِي الْعِلْمِ وَخَلَّ الْحِكْمَةِ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ، وَبَغَّضَهُ لِسِيرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ، وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ، وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَقِرَانِهِ مَعَ اسْمِهِ اسْمَهُ»^(١٠).

قال قتادة: «رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»^(١١).
وروى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربِّي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي»^(١٢).
قال جعفر بن محمد الصادق: «لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية».

وأشار بعضهم في ذلك إلى مقام الشفاعة.

ومن ذكره معه - تعالى - أن قرن طاعته بطاعته - ﷺ - واسمه باسمه ﷺ، فقال

تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا

(١٠) انظر: «الشفاء»، للقاضي عياض: (٦٣/١).

(١١) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي: (٦٣/٧).

(١٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: (١٣٨٠)، وابن حبان في «صحيحه»: (٣٣٨٢).

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴿ [النساء: ١٣٦]، فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق غيره ﷺ.

صفات الحبيب ﷺ في التوراة

قال -تعالى-: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، جمع الله له ﷺ في هذه الآية ضروباً من رتب الأثر (١٣)، وَجُمَلَةً أَوْصَافٍ مِنَ الْمُدْحَةِ، فَجَعَلَهُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلَاغِهِمُ الرِّسَالَةَ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، وَمُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، وَدَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ .

رُوي عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: « أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صَمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» (١٤).

وَذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيهِ: «وَالْأَصْحَابِ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ: وَلَا قَوَالٍ لِلْحَنَا، أَسَدُّهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهْبُ لَهْ كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالهُدَى إِمَامَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأُعْلِمَ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْحَمَالَةِ، وَأُسْمِي بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ، وَأَكْثِرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأَوْلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» .

(١٣) الأثر، بالضم الكرامة وبالكسر ما يستأثر به على غيره والأول هو المراد : هنا.

(١٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢١٢٥)، وأحمد في «مسنده»: (٦٦٢٢).

وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته في التوراة وهي : «عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ قَالَ: طَيِّبَةٌ، أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ اللَّهُ» (١٠).

وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السمرقندي: «ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِتَّةً أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ ﷺ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ، رَوْفًا، لِيَنَّ الْجَانِبِ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ: لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى: سَمَحًا، سَهْلًا، طَلْقًا، بَرًّا، لَطِيفًا».

ومن الآيات التي وردت في خطابه تعالى إياه ﷺ مورد الملاطفة والمبرة، قوله تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

(١٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (١٠٠٤٦)، والديلمي في «مسنده» (٣٧٧٩).

خصائص الحبيب ﷺ

ومما ذكر من خصائصه ﷺ و بر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء، فقال : يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا داود، يا زكريا، يا يحيى، يا عيسى، ولم يخاطبه ﷺ إلا بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

وقد أقسم الله - تعالى - بعظيم قدره ﷺ فقال : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله - جل جلاله - بمدة حياة سيدنا محمد ﷺ، معناه: وحياتك يا محمد، وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف .
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ » (١٦).

وقال أبو الجوزاء : « مَا أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ - لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ ».

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]، قال النقاش : « لم يُقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ ».

وقال - تعالى - : ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له - ﷺ - وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول : القسم عما أخبره به من حاله - ﷺ - بقوله تعالى : ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، أي: ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة .

الثاني: بيان مكانته ﷺ عنده - تعالى -، وخطوته لديه، بقوله : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، أي: ما تركك وما أبغضك، وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك .

(١٦) أخرجه ابن أبي أسامة في «مسنده»: (٩٣٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: (٢١).

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، قال ابن إسحاق، أي: مَالِكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا.
وقال سهل: «أَيُّ مَا ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ بِمَا أُعْطَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا».

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الأنعام في الدارين والزيادة.
قال ابن إسحاق: يرضيه ﷺ تعالى بِالْفَلَجِ (١٧)، أي: الفوز في الدنيا، والثواب في الآخرة.
وقيل: يعطيه ﷺ الحوض والشفاعة.
وروي عن بعض آل النبي (١٨) أنه قال: «ليس في القرآن أَرْجَىٰ مِنْهَا، وَلَا يَرْضَىٰ مِنْهَا وَلَا يَرْضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ» (١٩).

الخامس: مَا عَدَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ نِعْمِهِ، وَقَرَّرَهُ مِنَ الْآيَةِ، قَبْلَهُ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَىٰ مَا هَدَاهُ لَهُ، أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ التَّفَاسِيرِ، وَلَا مَالَ لَهُ، فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَىٰ، وَبِتَيْمَنٍ فَحَدَّبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ وَأَوَاهُ إِلَيْهِ.
وَإِذَا لَمْ يُهْمَلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ، وَعَيْلَتِهِ، وَيَتِيمِهِ، وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَا وَدَّعَهُ وَلَا قَلَاهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ ﷺ؟!.

السادس: أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ بِنَشْرِهِ وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النُّعْمَةِ التَّحَدُّثَ بِهَا وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ عَامٌّ لِأُمَّتِهِ ﷺ.

(١٧) الفلج: بفتح الفاء وتسكين اللام، أي: الظفر والفوز.

(١٨) وهو: الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

(١٩) أخرجه الديلمي في «مسنده»: (٦١٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية»: (١٧٩ / ٣).

وقال تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨]، تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ، وَشَرَفِهِ، الْعِدَّةَ مَا يَقِفُ دُونَهُ الْعَدُّ، وَأَقْسَمَ جَلَّ اسْمُهُ عَلَىٰ هِدَايَةِ الْمُصْطَفَىٰ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَىٰ، وَصِدْقِهِ فِيمَا تَلَا، وَأَنَّهُ وَحِيٌّ يُوحَىٰ، أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ جَبْرِيْلُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَىٰ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنْتَهَائِهِ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَتَصْدِيقِ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَىٰ، وَأَنَّهُ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ.

وَقَدْ تَبَّهَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَلَمَا كَانَ مَا كَاشَفَهُ (٢٠) ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْجَبْرُوتِ (٢١)، وَشَاهَدَ مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ (٢٢)، لَا تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَاتُ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِحَمَلِ سَمَاعِ أَدْنَاهُ الْعُقُولُ، رَمَزَ عَنْهُ تَعَالَىٰ بِالْإِيْمَاءِ، وَالْكِنَايَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّىٰ أَهْلُ النَّقْدِ وَالْبَلَاغَةِ بِالْوَحْيِ وَالْإِشَارَةِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَبْلَغُ أَبْوَابِ الْإِيْجَازِ : ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨]، انْحَسَرَتِ الْأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَىٰ وَتَاهَتِ الْأَحْلَامُ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ.

وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَىٰ إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِتَزْكِيَةِ جَمَلَتِهِ ﷺ وَعَصَمَتِهَا عَنِ الْآفَاتِ فِي هَذَا الْمَسْرَىٰ، فَزَكَىٰ فؤاده، ولسانه، وجوارحه.

زَكَّىٰ قَلْبَهُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

وَزَكَّىٰ لِسَانَهُ، بِقَوْلِهِ : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

وَزَكَّىٰ بَصَرَهُ، بِقَوْلِهِ : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾

[التكوير: ١٥]، إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥].

(٢٠) أي: الذي راه ﷺ، أي: برؤيته.

(٢١) الجبروت صيغة مبالغة من الجبر بمعنى: القوة، كالعظמות من العظمة، والمراد: أنه رأى ما يدل عليه، إذ هو معنى، والمعنى لا يشاهد بالبصر، إلا أن تحمل الرؤية على رؤية البصيرة، فالمراد بها: العلم والمعرفة.

(٢٢) الملكوت: فعلوت من الملك، مبالغة، والملك ظاهر السلطنة، والملكوت باطنها.

لا أقسم أي: أقسم أنه لقول رسول كريم، أي: كريم عند رسله، ذي قوة على تبليغ ما حملة من الوحي، مكين أي: متمكن المنزلة من ربه، رفيع المحل عنده، مطاع أي: في السماء، أمين الوحي .

قال علي بن عيسى، وغيره: «الرسولُ الكريمُ هنا محمدٌ ﷺ فجميع الأوصافِ تعدُّ على هذا له».

وقال غيره: هو جبريل، فترجع الأوصاف إليه: ولقد رآه يعني محمدًا ﷺ.

قيل: رأى ربه، وقيل: رأى جبريل في صورته ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٌ﴾ [التكوير: ٢٤]، أي: بمتهم، ومن قرأه بالضاد، فمعناه: ما هو ببخيل بالدعاية، والتذكير بحكمه، وبعلمه، وهذه لمحمد ﷺ بالاتفاق .

وقال تعالى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، الآيات، أقسم الله تعالى بها أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى ﷺ بما غمصته الكفرة به، وتكذيبهم له، وأنسبه وبسط أمله بقوله محسنًا خطا به: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٢].

وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاوراة، ثم أعلمه تعالى بما له ﷺ عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣].

ثم أثنى عليه ﷺ بما منحه من هباته وهداه إليه، وأكد ذلك تميمًا للتمجيد بحرفي التأكيد، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قيل: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: الطبع الكريم، وقيل: ليس لك همة إلا الله تعالى.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ: «أَثْنَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ قَبُولِهِ ﷺ، لِمَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمِهِ وَفَضْلِهِ بِذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ جَبَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُقِ».

فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْمُحْسِنِ، الْجَوَادِ الْحَمِيدِ، الَّذِي يَسِّرُ لِلْخَيْرِ وَهَدَىٰ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ فَاعِلِهِ، وَجَارَاهُ عَلَيْهِ، سُبْحَانَهُ مَا أَغْمَرَ نَوَالَهُ، وَأَوْسَعَ إِفْضَالَهُ.

ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابه، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿فَسُبِّصْرُ وَيُصْرُونَ﴾ [القلم: ٥] الثلاث آيات.

ثم عطف بعد مدحه ﷺ على ذم عدوه، وذكر سوء خلقه، وعدّ معايبه متولياً ذلك بفضلته، ومنتصراً لنيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه، بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [القلم: ٨]، إلى قوله : ﴿أَسْطِرُّ الْأُولَىٰ﴾ [القلم: ١٥]، ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتهم شقائه وخاتمة بواره، بقوله تعالى : ﴿سَسِمُهُ عَلَى الْخُطُوبِ﴾ [القلم: ١٦]، فكانت نصرة الله تعالى له ﷺ أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ﷺ أبلغ من رده، وأثبت في ديوان مجده ﷺ.

ومن الآيات ما ورد مورد الشفقة والإكرام له ﷺ قال الله تعالى ﴿طه﴾ ١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿ [طه: ١-٢]، نزلت الآية، فيما كان النبي ﷺ يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل.

رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلِ وَرَفَعَ الْأُخْرَى فَاَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿طه﴾، يَعْنِي طِيَّ الْأَرْضِ يَا مُحَمَّدُ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ.

وَإِنْ جَعَلْنَا طه مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَمَا قِيلَ أَوْ جُعِلَتْ قِسْمًا لِحَقِّ الْفَصْلِ بِمَا قَبْلَهُ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَمَطِ الشَّفَقَةِ وَالْمُبَرَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ نُفْسَكُ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، الباع: القائل.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، إلى قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]، إلى آخر السورة وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].
قال مكي: «سَلَاهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ تَمَادَى عَلَى ذَلِكَ يُحِلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ».

ومثل هذه التسلية، قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ فَكُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]، من هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، عزاه الله تعالى بما أخبره به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحتهم بهم، وسلاه تعالى بذلك عن محنته ﷺ بمثلهم من كفار مكة، وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره ﷺ، بقوله تعالى: ﴿فَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، أي: في أداء ما بُلِّغْتَ وإبلاغ ما حُمِّلْتَ.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨] أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى، ومما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال أبو الحسن القاسبي: «اِخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِفَضْلِ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرُهُ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ».

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَنَعْتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ».

وقيل : أن بينه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ [آل عمران: ٨١]، الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ .

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ، وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ » (٣).

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ﴾ [النساء: ١٦٣].

رُوي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوْلِهِمْ فَقَالَ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ [الأحزاب: ٧]، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ : ﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

قال قتادة : « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدِّمًا هُنَا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ » (٢٤).

قال السمرقندي : « فِي هَذَا تَفْضِيلِ نَبِينَا ﷺ لِتَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ بَعَثًا ».

والمعنى : أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالدَّرِّ ، وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

(٢٣) أخرجه السيوطي في «الجامع»: (٣٤٦١٠)، والمتقي في «الكنز»: (٤٢٩٦).

(٢٤) رواه ابن سعد في «طبقاته»: (١/١٤٩).

قال أهل التفسير: «أراد الله تعالى بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ محمداً ﷺ؛ لأنه بُعِثَ للأحمر والأسود، وأُحِلَّتْ له الغنائم، وظهرت على يديه المعجزات، وليس أحد من الأنبياء أُعْطِيَ فضيلة أو كرامة إلا وقد أُعْطِيَ محمد ﷺ مثلها».

قال بعضهم: ومن فضله ﷺ أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، أي: ما كنت بمكة أي مدة وجوده ﷺ فيها قبل الهجرة فلما خرج عليه الصلاة والسلام منها وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وهذا من أبين ما يُظهِرُ مكانته - عليه الصلاة والسلام -، ونحو منه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي»^(٢٥)، قيل: أمانٌ لهم من البدع، وقيل: من الاختلاف والفتن.

وقال بعضهم: «الرسول ﷺ هُوَ الأَمَانُ الأَعْظَمُ مَا عَاشَ. وَمَا دَامَتْ سُنَّتُهُ بَاقِيَةً فَهُوَ بَاقٍ، فَإِذَا أُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فَانْتَظَرُوا البَلَاءَ وَالفِتْنَ».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاة ملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه ﷺ.

وقد حكى أبو بكر بن فورك: أن بعض العلماء تأول قوله ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢٦) على هذا، أي: في صلاة الله عليّ وملائكته، وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة، والصلاة من الملائكة ومثاله دعاء، ومن الله تعالى رحمة.

^(٢٥) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٣٦٧٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط»: (٦٦٨٧).

^(٢٦) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٢٦٧٦)، وأحمد في «مسنده»: (١٤٠٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحریم: ٤]، مولاه أي وليه، وجبريل، وصالح المؤمنین، وقیل: الأنبياء، وقیل: الملائكة، وقیل: أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم -، وقیل: المؤمنون على ظاهره .

وقال الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] إلى قوله: ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، [الفتح: ١٠] تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ ﷺ، وَالشَّاءَ عَلَيْهِ، وَكَرِيمٍ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ، مَا يَقْصِدُ الْوَصْفُ عَنِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهِ، فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا فَضَّاهُ لَهُ مِنْ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ، بِظُهُورِهِ وَعَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، غَيْرٌ مُؤَاخَذٌ بِمَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ (٢٧).

قَالَ بَعْضُهُمْ: «أَرَادَ غُفْرَانَ مَا وَقَعَ، وَمَا لَمْ يَقَعْ.. أَيَّ أَنْكَ مَغْفُورٌ لَكَ».

وقال مكي: جَعَلَ اللَّهُ الْمِنَّةَ سَبَبًا لِلْمَغْفَرَةِ، وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مِنْهُ بَعْدَ مَنَّةٍ،

وَفَضْلًا بَعْدَ فَضْلٍ.، ثم قال تعالى: ﴿وَيَسِّرْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِكَ﴾ [الفتح: ٢].

قيل: بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا

ونصرك والمغفرة لك ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨] الآية فعدد

الله تعالى محاسنه ﷺ وخصائصه ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] أي تجلونه وتعظمونه.

وقرأه بعضهم «ويعززوه» بزائين من العز، والأكثر والأظهر أن هذا في حقه ﷺ، ثم

قال «وتسبحوه» فهذا راجع إلى الله تعالى.

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: جُمِعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نَعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ:

(٢٧) لا يفهم من ذلك أن رسول الله ﷺ له ذنوب أخبره الله أنه يغفرها له فهو ﷺ نبي، وأنبياء الله تحفهم العصمة فلا يقعون في الصغائر ولا الكبائر من الذنوب، ولكن المراد أنه لو كان له ﷺ أو سيكون ذنب فهو مغفور له ﷺ. وقال أحد العارفين: إن نسبة الذنب لرسول الله ﷺ ليست معناها أنه يقوم به، ولكن معناها: أنه يقوم به غيره في حقه، كأن يسبه أحد، أو يكذبه، فمن كمال نعمة الله على الخلق أنه ﷺ يغفر للمسيء إليه إذا استغفر له؛ لأنه رحمة الله للعالمين.

- مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ: وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِجَابَةِ، وَالْمُغْفِرَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْمُحَبَّةِ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِخْتِصَاصِ، وَالْهُدَايَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْوِلَايَةِ. فَالْمُغْفِرَةُ تَبْرُهُةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَمَامُ النُّعْمَةِ إِبْلَاغُ الدَّرَجَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْهُدَايَةُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَشَاهِدَةِ.

وقال جعفر بن محمد: مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ جَعَلَهُ حَبِيبَهُ، وَأَفْسَمَ بِحَيَاتِهِ، وَنَسَخَ بِهِ شَرَائِعَ غَيْرِهِ، وَعَرَّجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى، وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ- وَمَا طَغَى، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَأَحَلَّ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الْغَنَائِمَ، وَجَعَلَهُ شَفِيعًا مُشَفَّعًا وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ، وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ وَرِضَاهُ بِرِضَاهُ، وَجَعَلَهُ أَحَدَ رُكْنِي التَّوْحِيدِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَذْيَبَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ (١٠)﴾ [الفتح: ١٠] بِيَعْتَهُمْ إِيَّاكَ ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (١٠)﴾ [الفتح: ١٠] يريد عند البيعة، قيل قوة الله، وقيل ثوابه وقيل منته، وقيل عقده، وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأکید لعقد بيعتهم إياه وعظيم شأن المبايع ﷺ.

وقد يكون من هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٧)﴾ [الأنفال: ١٧]، وإن كان الأول في باب المجاز، وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي في الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيتته ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه، ومما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته ﷺ عليه ومكانته عنده تعالى وما خصه به من ذلك ما نصه الله تعالى في قصة الإسراء ﴿سُبْحَانَ﴾ وفي سورة النجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ﷺ ما شاهد من العجائب، ومن ذلك عصمته

من الناس بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] وما دفع الله به عنه في هذه القصة، من أذاهم بعد تحريمهم هلكه، وخلوصهم نجياً في أمره، والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم، وذو لهم عن طلبه ﷺ في الغار، وما ظهر في ذلك من الآيات، ونزول السكينة عليه، وقصة «سراقه بن مالك»، حسبما ذكره أهل الحديث والسيرة في قصة الغار وحديث الهجرة.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۗ﴾ [١] فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ۗ﴾ [٢] إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۗ﴾ [الكوثر: ١-٢-٣] أعلمه الله تعالى بما أعطاه، والكوثر نهر في الجنة، وفيه أقوال أخرى ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله، فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۗ﴾ [الكوثر: ٣] أي عدوك ومبغضك، والأبتر الحقيير الذليل والمنفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۗ﴾ [الحجر: ٨٧].

قيل: قيل السبع المثاني السور الطوال الأولى والقرآن العظيم أم القرآن، وقيل السبع المثاني أم القرآن، والقرآن العظيم سائرُه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ﴾ [سبا: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۗ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

فهذه من خصائصه ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]،
فخصهم بقومهم وبعث محمداً ﷺ إلى الخلق كافة كما قال ﷺ بعثت إلى الأحمر والأسود.

وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] حَكِيمًا
قال أهل التفسير: أولى بالمؤمنين، أي: ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما
يمضي حكم السيد على عبده .

وقيل: اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس، وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة
كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمه له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة،
وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]

قيل: فضله العظيم بالنبوة، وقيل بما سبق له ﷺ في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها
إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى - عليه الصلاة والسلام - .

تكميل الله له المحاسن خَلْقًا وَخُلُقًا ﷺ

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ﷺ الباحث عن تفاصيل جملة قدره العظيم، أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان:

ضروري دينوي : اقتضته الجبلة ، وضرورة الحياة الدنيا.

ومكتسب ديني : وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله سبحانه زلفى .

ثم هي على فنين أيضا: منها ما يتخلص لأحد الوصفين . ومنها: ما يتمازج ويتداخل . فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل: ما كان في جبلة ﷺ من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وما له وجاهة، وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخرية، إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقه، أو كانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة.

وأما المكتسبة الأخرية: فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والثؤدة، والوقار، والرحمة وحسن الأدب، والمعاشرة وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة، وتكون هذه الأخلاق دينوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة، وإذا كانت خصال الكمال والجلال هي ما ذكرناه، ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها، أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب، أو جمال، أو قوة، أو علم، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظم قدره وتضرب

باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
 رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا
 يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا خيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال: من فضيلة النبوة،
 والرسالة، والخلة والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، والقرب، والدنو، والوحي،
 والشفاعة، والوسيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى
 الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد،
 والبشارة، والندارة، والمكانة عند ذي العرش والطاعة والأمانة، والهداية ورحمة العالمين،
 وإعطاء الرضا، والسؤال، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم وما
 تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد
 بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتركية الأمة، والدعاء
 إلى الله تعالى، وصلاة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراد الله، ووضع الإصر والأغلال
 عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، وتكليم الجهادات العجم، وإحياء الموتى، وإسماع
 الصم، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير القليل من الطعام، وانشقاق القمر ورد الشمس،
 وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب، وتظليل الغمام، وتسبيح الحصى،
 وإبراء الآلام، والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك
 ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله تعالى له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات
 القدس، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة، التي تقف دونها العقول ويحار دون أدانيها
 الوهم .

فإن قلت أكرمك الله لاخفاء على القطع بالجملة أنه ﷺ أعلى الناس قدرًا وأعظمهم
 محلاً وأكرمهم محاسن وفضلاً وقد ذهبت في تفاصيل الخصال مذهباً جميلاً شوقني أن أقف
 عليها من أوصافه ﷺ تفصيلاً .

فاعلم نور الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك بأنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلته الخلقه وجدته ﷺ حائز لجميعها محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار بذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه ﷺ في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك، فمنها : حديث علي وكثير من الصحابة - رضي الله عنهم - من أنه ﷺ «كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ أَدْعَجَ أَنْجَلَ أَشْكَلَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ أَبْلَجَ أَرْجُ أَقْنَى أَفْلَجَ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ وَاسِعُ الْجَبِينِ كَثُّ اللَّحْيَةِ تَمَلُّ صَدْرُهُ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ وَاسِعَ الصَّدْرِ عَظِيمَ الْمُنْكَبِينَ ضَخْمَ الْعِظَامِ عَبَلُ الْعُضْدَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ رَحْبَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ سَائِلُ الْأَطْرَافِ النُّورِ الْمُتَجَرِّدُ دَقِيقَ الْمُسْرِبَةِ رَبْعَةُ الْقَدِّ لَيْسَ بِالطُّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُيَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطُّوِيلِ إِلَّا طَالَهُ وَكَانَ ﷺ رَجُلٌ الشَّعْرِ إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَّا الْبَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعَمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ رُؤْيَى كَالنُّورِ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهِ أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا لَيْسَ بِبُطْهَمٍ وَلَا مُكَلِّثٍ مُتَمَاسِكِ الْبَدَنِ ضَرْبُ اللَّحْمِ».

قَالَ الْبِرَاءُ : «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لَمَّةٍ (٢٨)، فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ ، أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٢٩)

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأَلُ فِي الْجُدْرِ» (٣٠).

قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : «أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السِّيفِ؟» قَالَ: «لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ» (٣١).

(٢٨) المراد أنه لم يرى أحدا صاحب شعر موفور خلف الرأس بجوار الأذن في حال ارتداء حلة حمراء أبهى منظراً من رسول الله ﷺ.

(٢٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥٩٠١)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٣٣٧).

(٣٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦٤٨).

وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به ﷺ: « أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَخْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ » (٣٣).

وفي حديث ابن أبي هالة - رضي الله عنه - « يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ تَلَأُلُو الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » (٣٤).

وقال علي - رضي الله عنه - في آخر وصفه له ﷺ: « مَنْ رَأَاهُ بِدَيْهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِيْتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ » (٣٥).

وَأَمَّا نَظَافَةُ جِسْمِهِ وَطَيْبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ وَنَزَاهَتُهُ عَنِ الْأَفْذَارِ وَعَوْرَاتِ الْجُسَدِ فَكَانَ قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ بِخَصَائِصٍ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ تَمَمَّهَا بِنَظَافَةِ الشَّرْعِ وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ الْعَشْرِ.

قال ﷺ: « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ ».

قال أنس - رضي الله عنه -: « مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًَا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ » (٣٦).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةٍ عَطِرَةٍ » (٣٧).

(٣١) المراد هو: تشبيهه وجه رسول الله ﷺ بالسيف في شدة اللمعان ودقة الملامح.

(٣٢) أخرجه ومسلم في «صحيحه»: (٢٣٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٩٢٦).

(٣٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل»: (٢٧٩ / ١).

(٣٤) أخرجه الترمذي في «الشهائل»: (٨).

(٣٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤١٤).

(٣٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٣٠).

(٣٧) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٢٩).

قَالَ غَيْرُهُ : مَسَّهَا بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظِلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بِرِيحِهَا.

وعن جابر -رضي الله عنه- « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُ فِي طَرِيقٍ فَيَتَّبِعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِهِ » (٣٨).

وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ وذكر عدة أحاديث أخرى في طيب عرقه ﷺ وفضلاته، ونقل عن جماعة من أصحاب الشافعي، ومالك طهارة الحديثين منه ﷺ ثم ذكر حديث علي -رضي الله عنه- قال « لَمَّا غَسَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبَتْ لِأَنْظَرٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيْتِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَقُلْتُ: كَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا » (٣٩).

وشرب بعض الصحابة -رضي الله عنهم- دمه (٤٠).

وبعضهم بوله ﷺ ولم يأمر واحدًا منهم بغسل فمه ولا نباه عن عوده.

وولد ﷺ مختونًا مقطوع السرة (٤١).

وروي عن أمه آمنة أنها قالت : « وَلَدْتُهُ نَظِيفًا، مَا بِهِ قَدْرٌ » (٤٢).

(٣٨) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»: (١٢٧٣).

(٣٩) أخرجه البزار في «مسنده»: (٥١٩).

(٤٠) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَاعِزٍ، قَالَ: «سَمِعْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْتَجِمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: " يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَذْهَبَ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقُهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ "، فَلَمَّا بَرَزْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَدْتُ إِلَى الدَّمِ فَحَسَوْتُهُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا صَنَعْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ " قَالَ: جَعَلْتُهُ فِي مَكَانٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُ خَافِ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: " فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَشْرَبَ الدَّمَ؟ وَيَلُّ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ».

أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٦٣٤٣).

(٤١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٠٥٢٠).

(٤٢) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»: (١ / ١٠٢).

وأما وفور عقله ﷺ، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله ﷺ، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسته للعامه والخاصة مع عجيب شمائله و بديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتز في رجحان عقله ﷺ، وثقوب فهمه لأول بديهته وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه .

وقد قال وهب بن منبه : «قرأتُ في واحد وسبعين كتاباً فوجدتُ في جميعها أن النبي ﷺ أرحم الناس عقلاً وأفضلهم رأياً» .

وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعطِ جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا .

وقال مجاهد « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى مَنْ خَلْفِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ » (٤٣)، وكان ﷺ من أقوى الناس وقد صرع ركانه أشد أهل وقته .

وقال أبو هريرة «ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه كأنها الأرض تطوى له وإنما لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث» (٤٤) .

وفي صفته ﷺ «أن ضحكته كان تبسماً إذا التفت التفت معاً وإذا مشى تقلع (٤٥) كأنها يمشي في صبب (٤٦)» .

(٤٣) أخرجه ابن حجر في «المطالب العلية بزوائد المسانيد الثانية»: (٣٦٧٦) .

(٤٤) أخرجه القاضي عياض في «الشفاء»: (٦٩ / ١) .

(٤٥) والمعنى أنه ﷺ لم يكن يلتفت لأحد برأسه دون باقي جسده ولكن كان يلتفت إليه برأسه وجسده جميعاً، والتقلع في المشي هو الإسراع .

(٤٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٣٢٤٦٥) .

وأما فصاحة اللسان و بلاغة القول : فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مَقْطَع وفصاحة لفظ وجزالة قول و حجة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان ﷺ يخاطب كل أمة منهم بلسانها و يحاورها بلغتها و يباريها في منزع بلاغتها .

أما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه، وحكمه الماثورة ﷺ فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب.

وقد قال له الأعرابي : « مَا رَأَيْتُ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؟» (٤٧).

قال مرة أخرى «بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ» فمجمع له ﷺ بقوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة وروثق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر .

وقالت أم معبد - رضى الله عنها- في وصفها له ﷺ « حُلُوُ الْمِنْطِقِ، فَضْلٌ لَا هَذِرٌ وَلَا تَزِرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ حَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ » (٤٨) .

وأما شرف نسبه ﷺ وكرم بلده ومنشئه: فهذا مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه ﷺ نخبة بني هاشم نخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه وهو ﷺ من أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده .

روى البخاري عن أبي هريرة - رضى الله عنه- أن النبي ﷺ قال «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنَا فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» (٤٩).

(٤٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (١٣٦٣) .

(٤٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٣٦٠٥) .

(٤٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٥٥٧) .

وعن العباس بن عبد المطلب -رضى الله عنه- قال: قال النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرْقِهِمْ وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا» (٥٠).

وعن واثلة بن الأسقع -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (٥١).

وروى الطبراني عن ابن عمر أنه ﷺ قال «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا فَاسْكَنَهَا، وَأَسْكَنَ سَمَاوَاتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ سَبْعًا، فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا فَاسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ» (٥٢).

وعن ابن عباس: «أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِالْقِيَامِ عَامٍ يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ أَلْقَى ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَهْبَطَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي سَفِينَتِهِ، وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلْنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا عَلَيَّ سَفَاحَ قَطُّ» (٥٣).

(٥٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦٠٧).

(٥١) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٢٧٨)، والترمذي في «سننه»: (٣٦٠٥).

(٥٢) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٦٩٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٣٦٥٠).

(٥٣) أخرجه الآجري في «الشریعة»: (٩٦٠).

وَأَمَّا الْجَاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ عَادَةً، وَيَقْدَرُ جَاهِهِ عِظْمُهُ فِي الْقُلُوبِ.

وقد قال تعالى في صفة عيسى -عليه الصلاة والسلام- ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] لكن آفاته كثيرة فهو منفر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده.

وَوَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَدْحُ الْخُمُولِ^(٤٤)، وَذَمُّ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ ﷺ قَدْ رُزِقَ مِنَ الْحِشْمَةِ، وَالْمُكَانَةِ فِي الْقُلُوبِ، وَالْعِظْمَةَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ، عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَعْدَهَا، وَهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، وَيُؤْذُونَ أَصْحَابَهُ، وَيَقْصِدُونَ أَذَاهُ فِي نَفْسِهِ خَفِيَّةً، حَتَّى إِذَا وَاجَهُهُمْ أَعْظَمُوا أَمْرَهُ، وَقَضَوْا حَاجَتَهُ. وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُهَا.

وَقَدْ كَانَ يَبْهَتْ وَيَفْرُقُ لِرُؤْيَيْتِهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَرَهُ، كَمَا رَوَى عَنْ قَبِيلَةٍ: أَنَّهُمَا لَمَّا رَأَتْهُ أَرَعَدَتْ مِنَ الْفَرَقِ، فَقَالَ: «يَا مَسْكِينَةُ عَلَيْكَ السَّكِينَةُ»^(٤٥).

وفي حديث ابن مسعود «هُوَ عَيْنُكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»^(٤٦).

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وأناقته رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم ﷺ

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقها وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل

(٤٤) المراد بالخمُول: أن يكون لدى الإنسان الرغبة في عدم الشهرة، وأن يكون مستور الحال بين عموم الناس.

(٥٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/٢٥).

(٥٦) أخرجه ابن ماجه في «سننه»: (٢٣١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط»: (١٢٦٠).

إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].
 قالت عائشة - رضي الله عنها - : « كَانَ خُلُقُهُ ﷺ الْقُرْآنَ، يَرْضَىٰ لِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ » (٥٧).

وقال ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » (٥٨).

وقال أنس - رضي الله عنه - : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا » (٥٩).

وكان ﷺ فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقتة وأصل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا بريضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى و يحيى وسليمان وغيرهم -عليهم السلام- .

وَقَدْ حَكَى أَهْلُ السَّيْرِ: أَنَّ آمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ، أَخْبَرَتْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وُلِدَ حِينَ وُلِدَ بِأَسْطًا يَدِيهِ إِلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ .

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ: «لَمَّا نَشَأْتُ بَغِضْتُ إِلَيَّ الْأَوْثَانَ، وَبُغِضْتُ إِلَيَّ الشُّعْرُ، وَلَمْ أَهْمَّ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، فَعَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ لَمْ أَعُدْ» (٦٠) .

(٥٧) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٥٣٠٢) .

(٥٨) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (٢٠٧٨٢) .

(٥٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٢٥٣٣٦) .

(٦٠) سبق تخريجه .

وصف عقله ﷺ

إنَّ أخلاقه ﷺ المحمودة وخصاله الجميلة كثيرة، لكن نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه ﷺ بها إن شاء الله تعالى.

أما أصل فروعها، وعنصر يناييعها، ونقطة دائرتها، فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقبوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل.

وقد أشرنا إلى مكانه منه ﷺ وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه، وجلالة محله من العقل ومما تفرع عنه تحققة عند من تتبع مجاري أحواله واضطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله و بدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما هو مبسوط في معجزاته ﷺ دون تعليم^(١١) ولا مدارس ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه.

يُعلمُ ذلك ضرورة بالمطالعة والبحث عن حاله ﷺ وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً فلا تطول سرد الأقاويص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر- ولا يحيط به حفظ وبحسب عقله كانت معارفه عليه الصلاة والسلام إلى سائر ما أطلعه الله عليه من علم ما

(١١) المراد : أن من جملة معجزات نبينا ﷺ وكذا سائر الأنبياء والمرسلين إدراكهم لعلوم أهل زمانهم وبالكتب

المنزلة بشكل فطري على سبيل المعجزة له ﷺ.

يكون وما كان^(١٢) وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [النساء: ١١٣] .

حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصفٍ يحيط بذلك أو

ينتهي إليه ﷺ وزاده زلفى لديه.

(١٢) ذلك أن الله - عز وجل - قد أطلع رسوله ﷺ على المغيبات من العلوم والأحداث، مثل: إخباره عن أحوال

الأمم السابقة، كعاد وئمود وأصحاب الكهف، وأحوال ما سيكون مثل: هزيمة الروم في أدنى الأرض، وإخباره

ﷺ بأحداث الفتن والعجائب.

وصف حلمه واحتماله وعفوه وصبره ﷺ

وأما الحلم والاحتمال، والعمو والقدرة، والصبر على ما يكره فهذا كله مما أدب الله تعالى عليه نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١١١) [الأعراف: ١٩٩]، روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل - عليه السلام - عن تأويلها فقال حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وقال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]. الآية وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢] الآية وقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَظَمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله ﷺ وأن كل حلیم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً.

رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «قَالَتْ مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا» (٣٢).

وروى أن النبي ﷺ لما كُسِرَت رِبَاعِيَتُهُ وَشَجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أَحَدَ شَقَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا وَقَالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً (٦٤)، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

(٣٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦١٢٦).

(٣٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٥٩٩).

قال القاضي عياض رحمه الله : فانظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم، حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا، وسفح لهم، فقال: «اغفر» أو «اهد» . ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله «لقومي» ثم اعتذر عنهم بجهلهم، فقال «فإيهم لا يعلمون» .

ولما قال له الرجل: «اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله» لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله، ووعظ نفسه، وذكرها بما قال له .

فقال: «ويحك فمن يعدل إن لم يعدل خبت وخسرت إن لم يعدل، ونهى من أراد من أصحابه قتله» .

- ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ، وهو مُتَبَدِّحٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قَائِلًا ، وَالنَّاسُ قَائِلُونَ فِي غَزَاةٍ فَلَمْ يَنْتَه رَسُولُ ﷺ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ .
فقال: من يمنعك مني .

فقال ﷺ: «الله» .

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ .

وقال: «من يمنعك مني» .

قال: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ .

فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس (٦٥) .

ومن عظيم خبره ﷺ في العفو: عفو عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية.

وأنه لم يؤخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ﷺ وقد أعلم به وأوحى إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته، وكذلك لم يؤخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً بل قال لمن أشار بقتل بعضهم، لا. حتى لا يُقال: إن محمداً يقتل أصحابه.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةُ فَجَذَبَهُ أَعْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَثَرَتْ حَاشِيَّةَ الْبُرْدِ فِي صَفْحَةِ عَاتِقِهِ الشَّرِيفِ ﷺ ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ يَا مُحَمَّدُ اجْمَلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ الْمَالُ مَالِ اللَّهِ وَأَنَا عَبْدُهُ ثُمَّ قَالَ وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيٌّ مَا فَعَلْتَ بِي قَالَ لَا قَالَ لِمَ قَالَ لِأَنَّكَ لَا تُكَافِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَى بَعِيرِهِ شَعِيرٌ وَعَلَى الْآخِرِ تَمْرٌ » (٦٦).

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُتَّصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللَّهِ فَإِذَا انْتَهَكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا » (٦٧)، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَرَبَ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً ».

وَجِيءَ إِلَيْهِ ﷺ بِرَجُلٍ ، فَقِيلَ : هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « لَنْ تُرَاعَ ، لَنْ تُرَاعَ وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ » (٦٨) .

(٦٦) أخرجه البخاري : «صحيح» : (٣١٤٩).

(٦٧) أخرجه البزار في «مسنده» : (٣٢٠١) .

(٦٨) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» : (١٠٨٣٦) .

وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا عَلَيْهِ فَجَبَدَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ﷺ، وَأَغْلَظَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ مُطَّلٌ، فَاثْتَهَرَهُ عُمَرُ، وَشَدَّدَ لَهُ فِي الْقَوْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَبَسَّمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا، وَهُوَ، كُنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجُ يَا عُمَرُ، تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِيِ» .

ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلَاثٌ، وَأَمَرَ عُمَرَ يَقْضِيَهُ مَالَهُ، وَيَزِيدَهُ عِشْرِينَ صَاعًا لِمَا رَوَّعَهُ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا بَقِيَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُمَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا: «يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجُهْلِ إِلَّا حِلْمًا فَاخْتَبَرْتُهُ بِهِذَا فَوَجَدْتُهُ كَمَا وُصِفَ»

والحديث عن حلمه ﷺ وصابره، وعفوه عند المقدرة : أكثر من أن نأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه، مما في الصحيح والمصنفات الثابتة، إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين، من صبره على مقاساة قريش، وأذى الجاهلية، ومصابرة الشدائد الصعبة معهم، إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم ، فما زاد على أن عفا وصفح: وقال: «مَا تَنْظُنُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟» فَقَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ. وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢]: «إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» (٦٩) .

(٦٩) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (١٨٧٣٩) .

وَقَالَ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ التَّنَعِيمِ صَلَاةَ الصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذُوا فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [الفتح: ٢٤] (٧٠).

وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول «وَيْحُكَ، يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بِأبي أنت، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ» (٧١).

وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضا ﷺ .

(٧٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٢٦٤) .

(٧١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٧٢٦٤) .

وصف جوده ﷺ

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان ﷺ لا يوازي في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا» (٧٢).

وقال ابن عباس كان ﷺ «أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ» (٧٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَّا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ » (٧٤).

وَأَعْطَى ﷺ غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ .

وَأَعْطَى ﷺ صَفْوَانَ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ، وَهَذِهِ كَانَتْ خُلُقَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ .

وَقَدْ قِيلَ فِي حَقِّهِ ﷺ : «إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ» .

وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ مَا لَمْ يُطِقْ حَمَلَهُ .

وَحَمَلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوَضَعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَسَمَهَا فَمَا رَدَّ سَائِلًا

حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا .

وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلَكِنْ اتَّبِعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ فَقَالَ

لَهُ عُمْرٌ مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

(٧٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٠٣٤).

(٧٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣٤٢٥).

(٧٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٣١٢).

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا فَتَبَسَّمَ ﷺ وَعُرِفَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ
وَقَالَ بِهَذَا أُمِرْتُ.

وَذَكَرَ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ : « أَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقًا وَأُجْرًا
رُغْبٍ يُرِيدُ قَنَاءً فَأَعْطَانِي مِلءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا » (٧٥).

قَالَ أَنَسٌ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِعَدِّ » (٧٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : « أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ
فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ فَأَعْطَاهُ وَسْقًا وَقَالَ : « نِصْفُهُ قِضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ » .

والأخبار بجوده وكرمه ﷺ كثيرة.

(٧٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٦٩٤) .

(٧٦) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٢٣٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» : (١٣٩١) .

وصف شجاعته ﷺ

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ: فَالشَّجَاعَةُ فَضِيلَةٌ قُوَّةُ الْعَضْبِ وَانْقِيَادُهَا لِلْعَقْلِ، وَالنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَصَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَ الْكُمَاهُ وَالْأَبْطَالَ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرُحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَرَحَّزُحُ، وَمَا شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: «أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرْ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ ﷺ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ آخِذًا لِجَامِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَمَا رُؤْيَى يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ ﷺ» (٧٧).

وعن العباس -رضى الله عنه- قال: «لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بعلته نحو الكفار وأنا آخذٌ بِلِجَامِهَا، أكنفها إرادة أن لا تُسرِعَ، وأبو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ، ثُمَّ نَادَى «يا للمسلمين»» (٧٨).

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ - وَلَا يَغْضَبُ إِلَّا لِلَّهِ - لَمْ يَقَمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ.

قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: «مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ وَلَا أَجُودَ وَلَا أَرْضَى

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وقال علي -رضى الله عنه-: «إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ -

وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، انْتَقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ

بَدْرٍ وَنَحْنُ نُلَوِّذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا» (٧٩).

(٧٧) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٣١٧).

(٧٨) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٧٧٥)، النسائي في «السنن الكبرى»: (٨٥٩٩).

(٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٣٢٦١٤).

وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ إذا دنا العدو لقربه منه.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا»^(٨٠).

^(٨٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٨٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (١٨٥٦٠).

وصف حياته ﷺ

وأما الحياء والإغضاء فكان النبي ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاطِلِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ»^(٨١).

وكان ﷺ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا»^(٨٢). ينهي عنه ولا يسمي فاعله.

وَرَوَى أَنَسٌ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا وَكَانَ ﷺ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هَذَا»^(٨٣).

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»^(٨٤).

وروى عنه ﷺ أنه كان من حياته لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «مَا رَأَيْتُ فَرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ»^(٨٥).

(٨١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٥٦٢).

(٨٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٤٧٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٧٧٤٥).

(٨٣) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٤١٨٢).

(٨٤) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٤٢٢٤)، والترمذي في «سننه»: (٢٠١٦).

(٨٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه»: (٦٦٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»: (١١٣٠).

وصف حسن عشرته وأدبه وخلقه ﷺ

وأما حُسنُ عشرته وأدبه وبسط خلقه ﷺ مع أصناف الخلق، فقد انتشرت به الأخبار الصحيحة.

قال علي - رضي الله عنه - في وصفه ﷺ: «كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لُحْجَةً وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً».

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ قِصَّةً فِيءِ إِخْرَاجِهَا فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدُ جِمَارٍ أَوْطَأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ سَعْدُ يَا قَيْسُ اصْحَبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْكَبْ فَأَبَيْتُ فَقَالَ إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ فَانْصَرَفْتُ»^(٨٦).

وكان ﷺ يؤلفهم ولا ينفهمهم ولا يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ويجذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه^(٨٧) ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء.

بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه وقال الله تعالى ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. الآية وقال تعالى

^(٨٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٥١٨٥).

^(٨٧) أي: كان ﷺ دائم البشاشة في وجوه كل من يحضر مجلسه ولا يمسك هذه البشاشة وهذا البشر عن أحد منهم.

﴿ادْفَعْ بِأَلْيَدِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً^(٨٨) و يكافئ عليها.

قَالَ أَنَسٌ «حَدَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفَّ قَطُّ وَلَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ لَمْ صَنَعْتُهُ وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ لَمْ تَرَكْتُهُ»^(٨٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلُ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ لَبَّيْكَ».

وقال جرير بن عبد الله: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ»^(٩٠).

وَكَانَ ﷺ يَمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حَجْرِهِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمَسْكِينِ وَيَعُودُ الْمُرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ.

قَالَ أَنَسٌ مَا التَّقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْحِي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْحِي رَأْسَهُ وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الْآخِذُ».

وَكَانَ ﷺ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ لَمْ يَرِ قَطُّ مَا دَا رِجْلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ

وَكَانَ ﷺ يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤَثِّرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى وَيُكْنِي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَنْجُوزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ^(٩١).

^(٨٨) كان ﷺ يقبل الهدية ممن يهاديه حتى ولو كانت مقداراً بسيطاً جداً جبراً لخاطر مهديها.

^(٨٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٠٣٨).

^(٩٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٠٣٥).

وَرُوي أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَّا خَفَّفَ صَلَاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ
فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظُ
أَوْ يُخَطِّبُ

قال عبد الله بن الحارث : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (١٢).

وعن أنس « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِأَنْبِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا
يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا ، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَعَمَسَ يَدَهُ فِيهَا » (١٣).

(١٢) كان ﷺ يستمع بإنصات لمن يتحدث إليه ولا يقطع هذا الحديث، فإذا تجاوز المتكلم أي انتهى من حديثه أو قام
بإيضاح الغرض من حديثه في هذه الحال يقاطعه رسول الله ﷺ بالإجابة التي تكون إما نهي عن شيء، أو أمر
وحيث على شيء.

(١٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦٤١).

(١٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٥٦٥٧).

وصف شفقتة ورحمته بكل الخلق ﷺ

وأما الشفقة والرحمة بجميع الخلق فقد قال تعالى فيه صلي الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال بعضهم من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال تعالى ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن شفقتة ﷺ على أمته أنه لما كذبه قومه أتاه جبريل - عليه السلام - فقال له: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُجْرَجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٩٤).

وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ فَقَالَ ﷺ: «أَوْخِرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ».

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا»^(٩٥).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»^(٩٦).

^(٩٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٢٣١).

^(٩٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٥٦٠).

^(٩٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٧٠)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٨٢١).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ يَهُودًا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ» (٩٧).

وصف خلقه في الوفاء ﷺ ، وحسن العهد، وصلة الرحم

وأما خلقه ﷺ في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم:

فقد روى أبو داود عن عبد الله بن أبي الحُمسَاء، قَالَ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِيَعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَتَسَّيْتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ»^(٩٨).

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِشَيْءٍ يَقُولُ: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ»^(٩٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ، ثُمَّ يَهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا»^(١٠٠).

وَوَصَفَهُ ﷺ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: «كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَجِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ».

وَقَدْ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَمَامَةِ ابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا^(١٠١).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: «وَفَدَّ وَفَدَّ لِلنَّجَاشِيِّ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْدُمُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ»^(١٠٢).

^(٩٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٤٩٩٦).

^(٩٩) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٧٣٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٠).

^(١٠٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٠٠٤).

^(١٠١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥١٦)، ومسلم في «صحيحه»: (٥٤٣).

^(١٠٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق»: (٣٦٧)، والبيهقي في «الدلائل»: (٣٠٧/٢)، وفي «الشعب»: (٨٧٠٤).

وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ وَتَعَرَّفَتْ لَهُ بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَقَالَ لَهَا إِنَّ أَحَبَّتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحِبَّةً أَوْ مَتَّعْتُكَ وَرَجَعْتِ إِلَى قَوْمِكَ، فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا فَمَتَّعَهَا.

وقال أبو الطفيل : «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ قَالُوا أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعْتَهُ» (١٠٣).

وعن عمرو بن السائب: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شَيْئًا ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرَ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ» (١٠٤).

وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثَوْبِيَّةَ ، مَوْلَاةَ أَبِي هَبٍ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ، فَلَمَّا مَاتَتْ سَأَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهَا، فَقِيلَ: لَا أَحَدٌ .

وَفِي حَدِيثِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ: «أَبَشِّرْ فَوَاللَّهِ لَا يَحْزُنُكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَكْسِبُ الْمُعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» (١٠٥).

وقد وصفه بمثل ما وصفته به خديجة - رضي الله عنها - ورقة بن نوفل .

(١٠٣) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٦٥٩٥) .

(١٠٤) أخرجه أبوداود في «سننه»: (٥١٤٥) ، والبيهقي في «الدلائل»: (٢٠٠ / ٥) .

(١٠٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣) ، ومسلم في «صحيحه»: (٢٥٢) .

وصف تواضعه ﷺ

وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وحسبك أنه خبير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً فاختر أن يكون نبياً عبداً، فقال له إسرافيل - عليه السلام - عند ذلك: « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنَّكَ سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ .

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَاهُ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعْظَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » (١٠٦) .
وقال ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَكَلْتُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجَلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » (١٠٧) .

وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين و يجالس الفقراء و يجيب دعوة العبد، و يجلس بين يدي أصحابه مختلط بهم حيث انتهى به المجلس جلس .

وفي حديث - عمر رضي الله عنه - : « لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (١٠٨) .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْبِهِ ، جَاءَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ اجْلِسِي يَا أُمَّ فُلَانٍ فِي أَيِّ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ شِئْتَ أَجْلِسُ إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ قَالَ فَجَلَسْتُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا » (١٠٩) .

وقال أنس : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ ، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ » وَكَانَ ﷺ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَحْطُومٍ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ ، عَلَيْهِ إِكْفٌ (١١٠) لَيْفٍ (١١١) .

(١٠٦) أخرجه أبو داود في «سننه» : (٥٢٣٠) .

(١٠٧) أخرجه أحمد في «الزهد» : (٢٢) .

(١٠٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣٤٤٥) .

(١٠٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٢٣٢٦) ، وأبو داود في «سننه» : (٤٨١٨) .

وقال أنس : « حَجَّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ :
«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً، هَذَا وَقَدْ فَتِحَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَأَهْدَى فِي
حِجَّتِهِ ذَلِكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ» .

وَلَمَّا فَتِحَتْ عَلَيْهِ ﷺ مَكَّةَ وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ طَاطَأَ عَلَى رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ
يَمْسُ قَادِمَتَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى
ومن تواضعه ﷺ قَوْلُهُ : «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى، وَلَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ،
وَلَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ فِي
السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ» .

وقال ﷺ للذي قال له : «يا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ»، ذاك إبراهيم .

كل ذلك من تواضعه ﷺ وإلا فقد ثبت أنه أفضل منهم أجمعين .

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، وَالْحَسَنِ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَظِيمٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ - فِي صِفَتِهِ ﷺ وَبَعْضُ مَنْهُمْ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ : «كَانَ ﷺ فِي بَيْتِهِ فِي مَهَنَةِ أَهْلِهِ يَخِيطُ ثَوْبَهُ
وَيَحْلِبُ شَاتَهُ وَيَرْفَعُ ثَوْبَهُ وَيُخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُجَدِّمُ نَفْسَهُ وَيَقُمُّ الْبَيْتَ وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ وَيَعْلِفُ
نَاضِحَهُ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيَعْجِنُ مَعَهُ وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ» (١١٢) .

وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ : «كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِهِ ﷺ، فَيَدُورُ بِهَا
فِي حَوَائِجِهَا حَتَّى تَفْرَغَ، ثُمَّ تَرْجِعُ» (١١٣) .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ رَجُلٌ فَأَصَابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ فَقَالَ لَهُ : «هُوَّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ
بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» (١١٤) .

(١١٢) الإكاف هو بردعة الحمار .

(١١٣) أخرجه الترمذي في «سننه» : (١٠١٧) .

(١١٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» : (٥٦٧٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» : (٦٤٨٠) .

(١١٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٠٧٢)، والأصبهاني في «أخلاق النبي وآدابه» : (٢٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : «دَخَلْتُ السُّوقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ وَقَالَ لِلْوَاظِنِ زِنْ وَأَرْجِعْ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ قَالَ فَوُتِبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْبَلُهَا فَجَذَبَ يَدَهُ وَقَالَ هَذَا تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ فَذَهَبَتْ لِأَهْمِلُهُ فَقَالَ ﷺ صَاحِبُ الشَّيْءِ، أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ» (١١٥).

(١١٤) سبق تخريجه .

(١١٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» : (٦٥٩٤)، وأبو يعلى في «مسنده» : (٦١٦٢) .

وصف عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ

وَأَمَّا عَدْلُهُ ﷺ، وَأَمَانَتُهُ، وَعَفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ، فَكَانَ ﷺ أَمِنَ النَّاسِ، وَأَعَدَلَ النَّاسِ، وَأَعَفَّ النَّاسِ، وَأَصْدَقَهُمْ هُجَّةً مُنْذُ كَانَ، اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ^(١١٦) وَعِدَاؤُهُ، وَكَانَ ﷺ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ «الْأَمِين» .

قال أبو إسحاق: «كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينِ، بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ» .

وقال تعالى ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [التكوير: ٢١]، أجمع أكثر المفسرين على أنه محمد ﷺ .
وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ عِنْدَ بِنَاءِ الْكُعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحِجَرَ حَكَمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَقَالُوا: «هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ»^(١١٧) .

وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ قَالَ: «كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ»^(١١٨) .

وَقَالَ ﷺ « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ »^(١١٩) .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « نَأْبَا جَهْلٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ، وَلَكِنْ نَكْذِبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأْتِ اللَّهُ بِمُجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] »^(١٢٠) .

وَرَوَى عَيْرُهُ: « لَا نَكْذِبُكَ وَمَا أَنْتَ فِينَا بِمُكْذَبٍ » .

(١١٦) أي: مخالفوه والمقصود من يقومون بالجدال والخاصم والعداء وإرادة السوء والشر .

(١١٧) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (١٦٨٣) .

(١١٨) أخرجه أحمد في «الزهد»: (١٩٨١) .

(١١٩) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٩٨٩) .

(١٢٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٠٦٤)، والحاكم في «مستدرکه»: (٣٢٣٠) .

وقيل : إن الأحنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له: «يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، تخبرني عن محمد صادق هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قطُّ».

وسأل هرقل عنه أبا سفيان ، فقال: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال لا».

وقال النضر بن الحارث لقريش: «قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساجر، لا والله ما هو بساجر».

وفي الحديث عنه ﷺ: «وما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها» (١١١).

وفي حديث علي - رضي الله عنه - في وصفه ﷺ «أصدق الناس لهجة».

وقال في الصحيح: «ويلك ومن يعدل إن لم أعِدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعِدل» (١١٢).

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه» (١١٣).

وقال أبو العباس المبرد: فسَم كسرى أيامه. فقال: «يصلح يوم الريح للنوم، ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب واللّهو، ويوم الشمس للحوائج».

قال ابن خالويه: «ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم»، ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

(١١١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٧٢١٤)، ومسلم في «صحيحه»: (١٨٦٦).

(١٢٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٦١٠)، ومسلم في «صحيحه»: (١٠٦٤).

(١٢٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٦١٠).

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَزَأَ نَهَارَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، جِزَاءَ اللَّهِ، وَجِزَاءَ لِأَهْلِهِ، وَجِزَاءَ لِنَفْسِهِ.
 ثُمَّ جَزَأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ: «أَبْلَغُوا
 حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا أَمَّنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَرَجِ
 الْأَكْبَرِ» (١٢٤)

و عن الحسن: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِقَرَفٍ أَحَدٍ، وَلَا يُصَدِّقُ أَحَدًا عَلَى
 أَحَدٍ» (١٢٥).

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا هَمَمْتُ
 بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلَاهُمَا يَعِصُمْنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا. قُلْتُ لَيْلَةً
 لِقَتِي كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَعْلَى مَكَّةَ فِي أَغْنَامٍ لِأَهْلِهَا تَرَعَى: أَبْصُرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ
 اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا تَسْمُرُ الْفِتْيَانُ قَالَ: نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ
 غِنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَرَمْرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ
 أَمْرَأَةً فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْني عَيْنِي فَنِمْتُ فَمَا أَبْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ
 فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ وَغَلَبَتْني عَيْنِي فَمَا
 أَبْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا»،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى
 أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ» (١٢٦).

(١٢٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل»: (٣٣٧)، والبخاري في «مسنده»: (٤١٢١).

(١٢٥) أخرجه البيهقي في «سننه الكبرى»: (١٦٦٧٦)، وأبو داود في «المراسيل»: (٥١٤).

(١٢٦) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٧٦١٩)، وابن حبان في «صحيحه»: (٦٢٧٢).

وصف وقاره ومرواته وحسن هديه ﷺ

روي أبو داود عن خارجة بن زيد - رضي الله عنه - أنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ لَا يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ» (١٢٧).

وقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَلَسَ احْتَبَى بِيَدِهِ» (١٢٨).

وكذلك كان أكثر جلوسه ﷺ محتبياً.

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْحَارِثِيِّ - رضي الله عنه - «أَنَّهُ ﷺ تَرَبَّعَ وَرُبَّمَا جَلَسَ الْقُرْفُصَاءَ» (١٢٩).

وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ السُّكُوتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ، وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا وَكَلَامُهُ فَضْلًا لَا فَضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ.

وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ تَوْقِيرًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ ﷺ جَلِيسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جِلْسَاؤُهُ كَأَنَّا عَلَى رُؤْسِهِمُ الطَّيْرُ.

وَفِي صِفَتِهِ ﷺ: «يُخْطُو تَكْفُؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا»^{١٣٠} كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ: «إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا يُعْرِفُ فِي مَشِيئِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرَضٍ وَلَا وَكَلٍ» (١٣١)، أَي: غَيْرُ ضَجْرٍ وَلَا كَسْلَانٍ.

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : «إِنَّ أَحْسَنَ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ» (١٣٢).

(١٢٧) أخرجه أبو داود في «المراسيل»: (٥٠٥).

(١٢٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٤٨٤٦)، والبيهقي في «سننه الكبرى»: (٥٩١٦).

(١٢٩) أخرجه الأصبهاني في «أخلاق النبي وآدابه»: (٧٨٣).

(١٣٠) أي كان في مشيته ﷺ إسراعة وهدوء وانتظام.

(١٣١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣٠٣٣).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : « كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْتِيلٌ^{١٣٣} ، أَوْ تَرْسِيلٌ^{١٣٤} » .

وقال ابن أبي هالة - رضي الله عنه - : « كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعٍ : عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ^{١٣٥} وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ^{١٣٦} » .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : « كَانَ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَخْصَاءَهُ^{١٣٧} » .

وكان ﷺ يحب الطيبَ والرائحةَ الحسنةَ ويستعملها كثيرًا ويحض عليها، ويقول : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءُ، وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ^{١٣٨} » .
وَمِنْ مُرْوَعَتِهِ ﷺ : نَهَيْهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْأَمْرِ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالْأَمْرَ بِالسُّوَاكِ وَإِنْقَاءِ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ^{١٣٩} ، وَاسْتِعْمَالَ خِصَالِ الْفِطْرَةِ .

(١٣٣) أخرجه البزار في «مسنده» : (٢٠٧٦) .

(١٣٤) أي في كلامه صلى الله عليه وسلم وقرائته هدوء وانتظام وترتيب أفكار .

(١٣٤) أخرجه أبو داود في «سننه» : (٤٨٣٨) ، والبيهقي في «سننه الكبرى» : (٥٧٦٠) .

(١٣٥) أي كان سكوت رسول الله ﷺ في حالات مثل هذه الحالات الأربع : الحلم فكان يحلم على من يسيئ إليه ويتمثل في فعله ﷺ للمعروف وتركه للمنكر لتقتدي به الأمة والتقدير يتمثل في المعاملة بسواء للناس والحكم بينهم، وأما التفكير ففي خلق الله وملكوت السماوات والأرض .

(١٣٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٤١٤) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» : (١٣٦٢) .

(١٣٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣٥٦٧) ، ومسلم في «صحيحه» : (٢٤٩٣) .

(١٣٨) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» : (٢٦٧٦) ، والنسائي في «السنن الصغرى» : (٣٩٣٩) .

(١٣٩) البراجم بفتح الجيم جمع برجمة بضم الباء والجيم وهى مفاصل الأصابع التى بين الأشاجع والرواجب، وهى رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه نشرت وارتفعت، والرواجب: بكسر الجيم وبعدها موحدة جمع راجبة وهى مفاصل الأصابع التى تلى الأنامل، ثم تليها الأشاجع اللاتى تلى الكف، والسلاميات جمع سلامى وهى عظام الأصابع .

وصف زهده ﷺ

وَأَمَّا زُهْدُهُ ﷺ فَحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّبِهِ مِنْهَا، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتَيْهَا، وَقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ
بِحَدَافِيرِهَا، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوْحُهَا إِلَى أَنْ انْتَقَلَ ﷺ إِلَى الرِّفِيقِ الْأَعْلَى وَدَرَعَهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ
يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا» (١٤٠).

روى ابن أبي شيبة عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ حُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ» (١٤١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «مِنْ حُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ وَلَوْ شَاءَ لِأَعْطَاهُ اللَّهُ مَا لَا يَخْطُرُ
بِبَالٍ» (١٤٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا شَبِعَ آلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُبْزِ بُرٍّ حَتَّى لَقِيَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ» (١٤٣).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً
وَلَا بَعِيرًا» (١٤٤).

أَوْ فِي حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ: «مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ، وَبَغْلَةً بَيْضَاءَ،
وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً» (١٤٥).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «تُوِّفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ
ذُو كَيْدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِّي لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّمْتُهُ فَفَنِي» (١٤٦).

(١٤٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٦٠)، ومسلم في «صحيحه»: (١٠٥٥) واللفظ له.

(١٤١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٣٥٥٤٣).

(١٤٢) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٤٦٦٥)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده»: (١٤٩٢).

(١٤٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٥٤)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٩٧٠).

(١٤٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٦٣٥).

(١٤٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٩١٢).

وقال ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا. فَقُلْتُ: لَا. يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ» (١٤٧).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقْرُئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ. فَأَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا جِبْرِيلُ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ. وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ».

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحِيمِ» (١٤٨).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيْلِي الْمِتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عِشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ حُبِّهِمْ حُبَّ الشَّعِيرِ» (١٤٩).

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلَا فِي سُكْرٍ جَةٍ^{١٠٠}، وَلَا حُبْزٍ لَهُ مَرَّقٌ» (١٥١).

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لَيْفٍ» (١٥٢).

(١٤٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٠٩٧)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٩٧٣).

(١٤٧) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٢١٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٧٨٣٥).

(١٤٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٥٨).

(١٤٩) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٣٦٠)، وابن ماجه في «سننه»: (٣٣٤٧).

(١٠٠) أي: أن رسول الله ﷺ كان لا يأكل على الطاولات ولا في الأطباق المرتفعة.

(١٥١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥٤١٥).

(١٥٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٥٦).

وَسُئِلَتْ حَفْصَةُ ، مَا كَانَ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَتْ : «مِسْحًا تُشْبِهُ ثَنِيَّتَيْنِ
فَيَنَامُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ : لَوْ ثَنِيَّتُهُ أَرْبَعُ ثَنِيَّاتٍ لَكَانَ أَوْطَأَ لَهُ فَغَنِينَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثَنِيَّاتٍ
، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : مَا فَرَشْتُمْ لِي اللَّيْلَةَ قَالَتْ : قُلْنَا : هُوَ فِرَاشُكَ إِلَّا أَنَا ثَنِينَاهُ بِأَرْبَعِ ثَنِيَّاتٍ ، قُلْنَا
: هُوَ أَوْطَأَ لَكَ قَالَ : رُدُّوهُ لِحَالَتِهِ الْأُولَى ، فَإِنَّهُ مَنَعَنِي وَطَاءَتْهُ صَلَاتِي اللَّيْلَةَ» (١٥٣).

وَكَانَ ﷺ يَنَامُ أَحْيَانًا عَلَى سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ١٥٤ .

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «لم يمتلي جوفُ النَّبِيِّ ﷺ شَبَعًا قَطُّ وَلَمْ يَبِثَّ
شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ وَكَانَتْ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَى وَإِنْ كَانَ لَيَطْلُ جَائِعًا لِيَلْتَوِيَ طُولَ لَيْلَتِهِ
مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُورِ الْأَرْضِ وَثَمَارِهَا وَرَعَدَ عَيْشِهَا
وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ وَأَقُولُ نَفْسِي لَكَ
الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يُقَوِّتُكَ فَيَقُولُ : «يا عائشة مالي وللدُّنيا، إخواني من أولي العزم
من الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، فَأَكْرَمَ
مَأْبَهُمْ وَأَجْزَلَ نَوَابِهِمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَدًا دُونَهُمْ. وَمَا
مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللَّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخْلَائِي» (١٥٥).

(١٥٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل» : (٣٢٩).

(١٥٤) أي : كان رسول الله ﷺ ينام على سرير مخيط بالسعف مما يجعله خشنا.

(١٥٥) أخرجه الأصبهاني في «أخلاق النبي وآدابه» : (٤٤٨).

وصف خوفه من ربه وشدة عبادته له ﷺ

ما خوفه ﷺ من ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ﷺ بربه - عز وجل -
ولذلك قال فيما رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ
لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » (١٥٦).

زاد الترمذي عن أبي ذر أنه ﷺ قال : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ
أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعُ جَبْهَتُهُ سَاجِدًا لِلَّهِ،
وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ
وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ » (١٥٧).

وفي حديث المغيرة - رضي الله عنه - قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرْمَ، أَوْ تَنْتَفِحَ
قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » (١٥٨).

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : « كَانَ عَمَلُهُ ﷺ دِيمَةً، وَأَيْكُم يُطَبِقُ مَا كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُطَبِقُ » (١٥٩).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال « « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ
أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ
مُصَلِّيًّا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَاتِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ » (١٦٠).

وقال عوف بن مالك - رضي الله عنه - : « قُفْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ،
ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَقُفْتُ مَعَهُ فَبَدَأَ، فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِأَيَّةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ،

(١٥٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٨٥).

(١٥٧) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٣١٢).

(١٥٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٧١).

(١٥٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١٩٨٧).

(١٦٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١١٤١).

وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ:
«سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةَ سُورَةَ
يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ» (١٦١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً» (١٦٢).
و عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّحَيْرِ، عَنِ أَبِيهِ قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَجَوْفِهِ
أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ» (١٦٣) مِنَ الْبُكَاءِ» (١٦٤).

وقال ابن أبي هالة - رضي الله عنه - : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ
الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ» (١٦٥).

وقال ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ» (١٦٦).

وفي رواية: «سَبْعِينَ مَرَّةً» (١٦٧).

ثم قال في «الشفاء» :

(١٦١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: (١١٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١١٣) واللفظ له.

(١٦٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٤٤٨).

(١٦٣) أي يُسمع من صدره الشريف ﷺ أثناء الصلاة صوت مثل صوت غلي الماء في القدر من هيبه الله - عز وجل - في قلبه.

(١٦٤) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٦٧١)، والترمذي في «الشمائل»: (٣٢٣).

(١٦٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤١٤)، والترمذي في «الشمائل»: (٢٢٥).

(١٦٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: (١٠١٩٥).

(١٦٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: (٨٧٧٠).

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفَاتِ بَجْمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مِنْ كَمَالِ الْخُلُقِ حَسَنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَبَجْمِيعِ الْمُحَاسِنِ، هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ وَالتَّامِّ الْبَشَرِيِّ، وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لَهُمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - إِذْ رُبُّتُهُمْ أَشْرَفُ الرَّتَبِ وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] (١٦٨).

ذكر حديث الحسن في حلية النبي وشمائله وأوصافه الشريفة ﷺ

قال القاضي عياض : قَدْ آتَيْنَاكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمُجِيدَةِ وَخِصَالِ الْكَمَالِ الْعَدِيدَةِ وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ ﷺ وَجَلَبْنَا مِنَ الْأَثَارِ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَالْأَمْرُ أَوْسَعُ فَمَجَالِ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُتَمَدِّ يَنْقَطِعُ دُونَ نَفَادِهِ الْأَدْلَاءِ، وَبَحْرُ عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَائِلُ^{١١٤} وَلَكِنَّا آتَيْنَا فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ بِمَا أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ وَالْمَشْهُورِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ وَافْتَضَرْنَا فِي ذَلِكَ بِقُلِّ مِنْ كُلِّ وَغَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنَا أَنْ نَحْتَمَ هَذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ لِحُجْمِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا وَإِدْمَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيرِهِ وَفَضَائِلِهِ ﷺ:

روى الترمذي وغيره عن الحسن بن علي قال: « سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَافًا، عَنْ حَلِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأَلُ وَجْهُهُ تَلَأَلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ، وَأَقْصَرُ مِنَ الْمَشْدَبِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، رَجُلُ الشَّعْرِ، إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَقَهَا، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرَهُ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، أَرْجُ الْحَوَاجِبِ سَوَابِغٍ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدْرُهُ الْغَضَبُ، أَفَنَى الْعِرْنَيْنِ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ، يُحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمًّا، كَثُ اللَّحْيَةِ، سَهْلُ الْخُدَّيْنِ، ضَلِيعُ الْفَمِ، مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ، دَقِيقُ الْمُسْرَبَةِ، كَانَ عُنُقُهُ حَيْدُ دُمِيَّةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ، سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيْسِ، أَنْوَرُ الْمُتَجَرِّدِ، مَوْصُولٌ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرِ يَجْرِي كَالْخَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشَعْرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمُنْكَبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ، شَنْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلُ الْأَطْرَافِ - أَوْ قَالَ: سَائِلُ الْأَطْرَافِ

(١١٤) والمعنى: أن باب الحديث عن شمائل نبينا ﷺ باب عظيم لا يمكن أن تفسده آراء المغرضين، ولا يمكن أن يوفيه حقه ﷺ كلام الواصفين فهو مثل: البحر الوافر الذي لا يمكن أن يتكدر صفوه.

- حَمَّصَانُ الْأَخْصَيْنِ، مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، يَبُوءُ عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، يُخْطُو تَكْفِيًّا، وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيْعُ الْمِشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا التَّفَّتَ التَّتَتْ جَمِيعًا، خَافِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمَلَا حَظَّةً، يَسُوْقُ أَصْحَابَهُ وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ» (١٧٠).

فَقُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلَ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ [ص: ١٨٥] بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَضْلٌ، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، لَيْسَ بِالْجَانِفِ وَلَا الْمُهِينِ، يُعْظَمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَدُمُ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدُمُ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعَدِّي الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَتَّصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعِغَامِ» (١٧١).

قال الحسن: فَكْتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ. فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتَهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهَا عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا أَلِ الْحُسَيْنِ: فَسَأَلْتُ أَبِي، عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَأً دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، جُزْءًا لِلَّهِ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَسَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مُسَاءَلَتِهِمْ عَنْهُ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا، فَإِنَّهُ

(١٧٠) أخرجه الترمذي في «الشمال»: (٨).

(١٧١) أخرجه الترمذي في «الشمال»: (٢٢٦).

مَنْ أْبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يُذَكَّرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ، يَدْخُلُونَ رُؤَادًا وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ^(١٧١)، وَيُخْرِجُونَ أَدْلَةً يَعْنِي عَلَى الْخَيْرِ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يَنْفَرُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَشْرَهُ وَخُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيَتَّبِعُ الْقَبِيحَ وَيُوْهِئُهُ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ. الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ نَصِيحَتُهُ، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً» قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيْبِهِ، لَا يَحْسَبُ جَلِيْسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ صَابِرُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبَا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَأَمَانَةٍ وَصَبْرٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ، وَلَا تُشْنَى فَلَتَاتُهُ^(١٧٢) مُتَعَادِلِينَ، بَلْ كَانُوا يَتَفَاضِلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُوقِرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤَثِّرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ» (١٧٤).

وزاد بعض الرواة كيف كان سكوته ﷺ؟ فأجيب عليه: «كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ:

(١٧١) أي لا يخرجون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد تحصلوا على فائدة من علم يتعلمونه أو خلق كريم.

(١٧٢) أي لو حصل وصدر من أحد الحاضرين فلتة لسان بقول لا يليق أو لا يناسب المقام فكان باقي الحضور يتجملون بالستر.

(١٧٤) أخرجه الترمذي في «الشائل»: (٣٣٧).

عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ».

فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَنَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَنَفِي بَقِيَّةِ وَيَفْنَى،
وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ، وَجُمِعَ لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ:

- (١)- أَخَذَهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ.
- (٢)- وَتَرَكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ.
- (٣)- وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ.
- (٤)- وَالْقِيَامُ هُمْ بِمَا جَمَعَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تفسير معاني حديث ابن أبي هالة في وصف النبي ﷺ

قال القاضي عياض^(١٧٥):

(١) - «المشذب» أي: البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس

بالطويل الممغط.

(٢) - «الشعر الرجل»: الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد.

(٣) - «العقيقة»: شعر الرأس أراد إن انفرت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها

مغقوصة ويروى عقيصته.

(٤) - «وأزهر اللون»: نيؤه وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا

كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم ولا بالآدم، والأمهق: هو
الناصع البياض، والأدم: الأسمر اللون، ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه
حمر.

(٥) - «والحاجب الأزج»: المقوس الطويل الوافر الشعر.

(٦) - «والأفنى»: السائل الأنف المرتفع وسطه.

(٧) - «والأشم»: الطويل قصبة الأنف.

(٨) - «والقرن»: اتصال شعر الحاجبين، وضده البلج، ووقع في حديث أم معبد

وصفه بالقرن.

(٩) - «والأدعج»: الشديد سواد الحدقة، وفي الحديث الآخر: أشكل العين، وأسحر

العين، وهو الذي في بياضها حمر.

(١٠) - «والضليع»: الواسع.

(١٧٥) انظر: «الشفاء»، للقاضي عياض: (١/٣١٥).

(١١)- «وَالشَّنْبُ»: رَوْنُقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا، وَقِيلَ رِقَّتْهَا، وَتَحْزِينُ فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِي
أَسْنَانِ الشَّبَابِ.

(١٢)- «وَالفَلَجُ»: فَرْقُ الثَّنَائِيَا.

(١٣)- «وَدَقِيقُ الْمُسْرَبَةِ»: خَيْطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسَّرَةِ.

(١٤)- «بَادِنٌ»: ذُو لَحْمٍ.

(١٥)- «وَمَتَّاسِكٌ»: مُعْتَدِلُ الْخُلُقِ، يُمَسِّكُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ

الْآخِرِ لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ^(١٧٦) وَلَا بِالْمُكَلَّمِ، أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ، وَالْمُكَلَّمُ الْقَصِيرُ
الذَّقْنِ.

وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ: أَيْ مُسْتَوِيهِمَا.

(١٦)- «مُشِيحُ الصَّدْرِ»: إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي

أَشَاحٍ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعْسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ
قَبْلَ سَوَاءِ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، أَيْ لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ، وَلَعَلَّ اللَّفْظَ مَسِيحٌ
بِالسَّيْنِ وَفَتَحَ الْمِيمِ بِمَعْنَى عَرِيضٍ كَمَا وَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى وَحَكَاهُ ابْنُ دَرِيدٍ.

(١٧)- «الْكَرَادِيْسُ»: رَوْوسُ الْعِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ جَلِيلِ

الْمَشَاشِ، وَالْكَتْدِ.

(١٨)- «الْمَشَاشُ»: رَوْوسُ الْمَنَاقِبِ وَالْكَتْدُ: مُجْتَمَعُ الْكَتْفَيْنِ.

(١٩)- «شَنْ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ»: لِحِيمُهُمَا.

(٢٠)- «الزَّنْدَانُ»: عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ.

(٢١)- «وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ»: أَيْ طَوِيلُ الْأَصَابِعِ وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ سَائِلُ

الْأَطْرَافِ، أَوْ قَالَ سَائِلٌ بِالنُّونِ قَالَ: وَهُمَا بِمَعْنَى تَبْدُلِ اللَّامِ مِنَ النُّونِ إِنْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ بِهَا

(١٧٦) أي: أن جسده الشريف ﷺ كان جسداً متناسباً معتدل القوام، وليس كثير اللحم المترامك طبقة فوق طبقة.

وَأَمَّا عَلَى الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى وَسَائِرِ الْأَطْرَافِ فإِشَارَةٌ إِلَى فَخَامَةِ جَوَارِحِهِ كَمَا وَقَعَتْ مُفَصَّلَةً فِي الْحَدِيثِ.

(٢٢)- «رَحْبُ الرَّاحَةِ»: أَيِّ وَاسِعُهَا وَقِيلَ كُنِيَ بِهِ عَنْ سِعَةِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ.

(٢٣)- «مَصَانُ الْأَخْصَيْنِ»: أَيُّ مُتَجَانِفِي أَخْصَصِ الْقَدَمِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ

الأرض من وسط القدم.

(٢٤)- «مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ»: أَيُّ أَمْلَسُهَا وَهَذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهَا الْمَاءُ وَفِي حَدِيثِ أَبِي

هُرَيْرَةَ خِلَافٌ هَذَا قَالَ فِيهِ: إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَحْصَصٌ^{١٧٧}، وَهَذَا يُوَافِقُ

مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، وَبِهِ قَالُوا سُمِّيَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ أَيُّ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَحْصَصٌ وَقِيلَ:

مَسِيحٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِمَا وَهَذَا أَيْضًا يُجَالِفُ قَوْلَهُ شِئْنُ الْقَدَمَيْنِ.

(٢٥)- «التَّقْلَعُ»: رَفَعُ الرَّجْلِ بِقُوَّةٍ.

(٢٦)- «التَّكْفُؤُ»: الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمُمْشَى وَقَصْدِهِ.

(٢٧)- «الهُونُ»: الرَّفْقُ وَالْوَقَارُ.

(٢٨)- «الدَّرِيْعُ»: الْوَاسِعُ الْخُطْوِ أَيُّ: إِنَّ مَشِيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ

خُطْوَهُ خِلَافَ مَشِيَةِ الْمُخْتَالِ وَيَقْصِدُ سِمَتَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِرَفْقٍ وَتَثْبُتٍ دُونَ عَجَلَةٍ كَمَا قَالَ كَانَتْ

يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

(٢٩)- «قَوْلُهُ: يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ»: أَيُّ لِسَعَةٍ فَمِهِ، وَالْعَرَبُ تَتَدَاخَلُ بِهَذَا

وَتَدْمُ بِصِغَرِ الْقَمِ.

(٣٠)- «أَشَاحُ»: مَالٌ وَانْقَبَضَ.

(٣١)- «حَبُّ الْغَمَامِ»: الْبَرْدُ.

(٣٢)- «قَوْلُهُ: فَيْرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ»: أَيُّ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوَصِّلُ

الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتُوصِلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ، وَقِيلَ يُجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ثُمَّ يُبَدِّلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ.

(١٧٧) أي: أن قدمه الشريفة ﷺ كانت مستوية من أسفلها، ليس بها التجويف المعروف عند سائر الناس.

وَيَدْخُلُونَ رُؤَادًا: أَيُّ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ.

(٣٣)- «لا ينصرفون إلا عن ذواقي»: قِيلَ عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيُشْبَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى

ظَاهِرِهِ أَيُّ فِي الْغَالِبِ وَالْأَكْثَرِ.

(٣٤)- «الْعَتَادُ»: الْعِدَّةُ وَالسَّيِّئُ الْحَاضِرُ الْمُعَدُّ.

(٣٥)- «المُوَازَرَةُ»: الْمُعَاوَنَةُ وَقَوْلُهُ.

(٣٦)- «لَا يُوطِنُ الْأَمَاكِنَ»: أَيُّ لَا يَتَّخِذُ لِمَصَلَّاهُ مَوْضِعًا مَعْلُومًا وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ

هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ.

(٣٧)- «صَابِرُهُ»: أَيُّ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ.

(٣٨)- «لَا تُؤَبِّنُ فِيهِ الْحَرْمُ»: أَيُّ لَا يُذَكِّرُنَ فِيهِ بِسُوءٍ.

(٣٩)- «لَا تُثْنِي فَلَتَاتُهُ»: أَيُّ لَا يَتَحَدَّثُ بِهَا أَيُّ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَتَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَحَدٍ

سُتِرَتْ، وَيَرَفِدُونَ: يُعِينُونَ.

(٤٠)- «السَّخَابُ»: الْكَثِيرُ الصِّيَاحِ.

(٤١)- «وَلَا يَقْبَلُ الشَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مَكَافِيءٍ»: قِيلَ مُقْتَصِدٍ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِهِ وَقِيلَ إِلَّا مِنْ

مُسْلِمٍ وَقِيلَ إِلَّا مِنْ مَكَافِيءٍ عَلَى يَدِ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ.

(٤٢)- «يَسْتَفْزَهُ»: يَسْتَخْفَهُ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ ﷺ.

(٤٣)- «مَنْهُوسُ الْعَقَبِ»: أَيُّ قَلِيلُ لَحْمِهَا.

(٤٤)- «أَهْدَابُ الْأَشْفَارِ»: أَيُّ طَوِيلُ شَعْرِهَا.

عظيم قدره ﷺ عند ربه

اعلم: أنه لا خلاف في كونه ﷺ أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله - عز وجل - وأعلاهم درجة وأقر بهم زلفي.

واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها فمما ورد من ذكر مكانته عند ربه، والاصطفاء، ورفعته الذكر، والتفضيل، وسيادة ولد آدم، وما خصه الله به في الدنيا من مزايا الرتب، وبركة اسمه الطيب:

ما رواه بسنده لابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]، فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ بِيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهُمَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٩]، فَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ، ثُمَّ جَعَلَ الْبُيُوتَ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ [الحجرات: ١٣]، فَأَنَا أَتَقَى وَلِدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بِيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ» (١٧٨).

(١٧٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٦٧٤)، والبيهقي في «الدلائل»: (١/ ١٧٠).

وعن وائلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (١٧٩).

و من حديث أنس - رضي الله عنه - : «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ» (١٨٠).
وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : « وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ » (١٨١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - عنه ﷺ: «آتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرِ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَرِ بَنِي أَبِي أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (١٨٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: عنه ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَقَدَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلْنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَبِي... لَمْ يَلْتَقِ عَلِيٌّ سَفَاحَ قَطٍ» (١٨٣).

وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:

مَنْ قَبِلَهَا طِبْتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشْرٌ أَنْتَ وَلَا مُضَعَّةٌ وَلَا عَلَقُ

(١٧٩) سبق تخريجه .

(١٨٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٠).

(١٨١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٦).

(١٨٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٦٢٨٥)، والبيهقي في «الدلائل»: (١٧٦/١).

(١٨٣) أخرجه ابن حجر «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»: (٤٢٠٩)، والآجري في «الشریعة»: (٩٦٠).

بَلْ نُظْفَةُ تَرَكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ
 أَجْمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْعَرْقُ
 تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ
 إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقُ
 وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ
 ضُ وَضَاعَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
 فَخَنُّ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو
 رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
 يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبَبًا
 لِعِضْمَةِ النَّارِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ (١٨٤)

وروى عنه عليه السلام ابن عمر وعدد من الصحابة أنه قال: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأَحِلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ» (١٨٥).

وفي رواية: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ» (١٨٦).

وفي حديث أبي هريرة: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» (١٨٧).

وعن عقبة بن عامر أنه عليه السلام قال: «إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيَتْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا» (١٨٨).

(١٨٤) في الأبيات إشارة إلى حال النبي عليه السلام قبل ميلاده، كان عليه السلام طيبًا مكرمًا في علم الغيب عند الله - عز وجل -، ثم كان في صلب أبنينا آدم - عليه السلام - عندما أهبط للأرض ولم يكن في الأرض بشر قبله، وكان عليه السلام نطفة في صلب سيدنا نوح في السفينة وهكذا ظل رسول الله عليه السلام ينتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة حتى أذن الله وولده عليه السلام في بيت عز وكرم وشرف، ويقول الشاعر: لما ولد عليه السلام أشرفت الأرض بنور النبي الخاتم، ويقول: الشاعر ونحن قومك من بني هاشم نعيش في ذلك الضياء وتشرف به ونهتدي بسبل الرشاد التي تحترق الضلال.

(١٨٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٣٨).

(١٨٦) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»: (٣٥٨٧).

(١٨٧) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٧٠١٣).

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «أنا محمدُ، النبيُّ الأُمِّيُّ؛ لا نبيَّ بعدي؛ أُوتيتُ جوامعَ الكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَعُلِّمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ» (١٨٩).

وعن ابن وهب أنه ﷺ قال «إنَّ اللهَ تعالى قال له ﷺ: سَلْ، فقال: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا.

وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكَلِيمًا، وَأَعْطَيْتَ دَاوُودَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَجَعَلْتَهُ يَبْرَىءَ الْأَكْمَهَةِ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعَدْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلٌ.

فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ: وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمْ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا، وَآخِرَهُمْ بَعَثًا وَأَعْطَيْتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتَكَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ عَرْشِي، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٩٠).

مَعْنَى هَذَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ: بَقَاءُ مُعْجَزَاتِهِ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا. وَسَائِرُ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ذَهَبَتْ لِلْحَيْنِ، وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا الْحَاضِرُ لَهَا، وَمُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ يَقِفُ عَلَيْهَا قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عِيَانًا لَا خَبْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١٨٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٠٨٥).

(١٨٩) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦٦٠٦).

(١٩٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٩٨١).

وعن علي - رضي الله عنه - : «إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نَجَبَاءَ رُفَقَاءَ أَوْ رُقَبَاءَ وَأُعْطِيَتْ أَنَا أَرْبَعَةٌ عَشْرَ»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ، «أَنَا وَابْنَابِي، وَجَعْفَرُ، وَخَمْرَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلَالٌ، وَسَلْمَانُ، وَعَمَّارٌ، وَالْمُقْدَادُ، وَحَدِيفَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ»^(١٩١).

عَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ لِحَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عَيْسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي النَّبِيِّ رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»^(١٩٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^(١٩٣) [الأنبياء: ٢٩]، وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتَبِّعْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢) [الفتح: ١-٢] فقليل له يا أبا عباسٍ فما فضله على الأنبياء قال إن الله عز وجل قال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَنُ قَوْمَهُ لِئِبْرِيكَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) [إبراهيم: ٤] وقال لمحمد ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣٨) [سبأ: ٢٨] فأرسله الله إلى الإنس والجن^(١٩٣).

وحكى أبو محمد المكِّي، وأبو الليث السمرقندي، وغيرهما: «أَنَّ آدَمَ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي - وَيُرْوَى - وَتَقْبَلْ تَوْبَتِي».

(١٩١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٧٨٥).

(١٩٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٤١٧٥).

(١٩٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٣٣٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١١٦١٠).

فَقَالَ لَهُ اللهُ: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا؟ . قَالَ: رَأَيْتُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. وَيُرَوَى: مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي - فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ.

وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿البقرة: ٣٧﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: فَقَالَ آدَمُ: «لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ». فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: «وَعَزَّي وَجَلَالِي إِنَّهُ لِأَخْرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَلَوْ لَاه مَا خَلَقْتِكَ. قَالَ: «وَكَانَ آدَمُ يُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ، وَقِيلَ: بِأَبِي الْبَشَرِ» (١٩٤).

وروى عن سريح بن يونس أنه قال: إن الله تعالى ملائكة سياحين عادتها على كل دار فيها اسم أحمد أو محمد.

وَرُوِيَ عَنْ سُرَيْجِ بْنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ عِبَادَتِهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحْمَدٌ أَوْ مُحَمَّدٌ إِكْرَامًا مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ: إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لَا أُعَدَّبُ مِنْ قَالِهَا» (١٩٥).

وَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ: «مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ».

وَذَكَرَ السَّمْنَطَارِيُّ: «أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَّاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ، عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ

مَكْتُوبٌ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَعَلَى الْآخِرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

(١٩٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل»: (٤٨٩/٥).

(١٩٥) انظر: «جامع الآثار في السير ومولد المختار»، لابن ناصر: (٤٧٥/١).

وذكر الأخباريون: « نَبِيْلَادِ الْهِنْدِ وَرَدًا أَحْمَرٌ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ .. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ».

وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَلَا لِيَقُمْ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكِرَامَةِ اسْمِهِ ﷺ ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ».

وحكى النقاش أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، قَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ.. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلًا، وَفَضَّلَ نِسَائِي عَلَى نِسَائِكُمْ تَفْضِيلًا ».

قصة الإسراء والمعراج به ﷺ

قوله ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما به عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم: ١]. إلى قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] ولا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله، وشرح عجائبه وخواص محمد فيه ﷺ أحاديث كثيرة منتشرة.

روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَيْضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْجَمَارِ، وَدُونَ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتِ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالََةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بِنِ زَكْرِيَّا، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ
بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا
﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ:
جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا
أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ
إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا
إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا
ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يُعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ
بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَاقِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ مَا غَشِيَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا
أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ
رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا
يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ،
خَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ
أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ
صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا

كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً،
 قَالَ: فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» (١٩٦).

(١٩٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٦٢).

في ذكر تفضيله ﷺ يوم القيامة

مما ذكر في تفضيله ﷺ يوم القيامة وتخصيصه بالكرامة :

ما رواه الترمذي بسنده عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال :
«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا حَاطِبُهُمْ إِذَا وَفِدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِيَوَاءِ
الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ» (١٩٧).

وفي رواية قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَهُمْ خُرُوجًا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفِدُوا، وَأَنَا
حَاطِبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُهُمْ إِذَا حُسِبُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ
يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضُ مَكْنُونٍ، أَوْ لَوْلُؤُ
مَشْهُورٍ» (١٩٨).

وعن أبي هريرة في رواية الترمذي: «وَأَكْسَى حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ
الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي» (١٩٩).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ
آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِيَوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمِنْ سِوَاهُ إِلَّا
تَحْتَ لِيَوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ» (٢٠٠).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ
الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ» (٢٠١).

(١٩٧) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٠).

(١٩٨) أخرجه الدارمي في «مسنده»: (٤٩).

(١٩٩) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١١).

(٢٠٠) أخرجه الترمذي في «صحيحه»: (٣٦١٥).

(٢٠١) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٢٧٨).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا حبيبُ الله ولا فخرَ، وأنا حاملُ لواءِ الحمدِ يومَ القيامةِ تحتهُ آدمُ فمن دونه، ولا فخرَ، وأنا أولُ شافعٍ، وأولُ مُشفَعٍ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأنا أولُ من يُحرِّكُ حِلَقَ الجنةِ، فيفتحُ اللهُ لي، فيُدخلنيها، ومعِي فُقراءُ المؤمنينَ ولا فخرَ، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخِرِينَ على اللهِ ولا فخر» (٢٠٢).

وعن أنس من رواية مسلم: «أنا أولُ النَّاسِ يَشْفَعُ في الجنةِ وأنا أكثرُ الأنبياءِ تَبَعًا» (٢٠٣).

وعن أنس - رضي الله عنه -، قال: قال النبي ﷺ: «أنا سيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهل تُدْرُونَ مِمَّ ذلك؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ... وذكر حديث الشفاعة» (٢٠٤).

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «أطمعُ أن أكونَ أعظمَ الأنبياءِ أجرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي حديثٍ آخر: «أما تَرْضَوْنَ أن يَكُونَ إبراهيمُ وَعِيسَى فيكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا في أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. أَمَا إبراهيمُ فيقولُ: أَنْتَ دَعَوْتِي وَذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِكَ.. وَأَمَا عِيسَى فَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ بَنُو عِلَاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَإِنَّ عِيسَى أَخِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ»

وقوله ﷺ: «أنا سيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، هو: سيدهم في الدنيا، ويوم القيامة ولكن أشار ﷺ لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذا لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ سيدًا منفردًا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك، ولا ادعاء، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ

لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [خافر: ١٦].

(٢٠٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٦)، والدارمي في «سننه»: (٤٨).

(٢٠٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٩٦).

(٢٠٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٤٣٥).

والمالك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا ولذلك يلجأ إلى محمد ﷺ جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «آني باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك» (٢٠٠).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، مَأْوُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا» (٢٠١).

(٢٠٠) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٩٧)

(٢٠١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٥٧٩).

ذكر تفضيله بالمحبة والخلة ﷺ

وأما تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة فقد جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص ﷺ على ألسنة المسلمين بحبيب الله.

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث آخر رواه مسلم وَأَنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» (٢٠٧).

وروى الترمذي وغيره من طريق عبد الله بن مسعود: «وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا» (٢٠٨).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: «جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْتَظِرُونَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا، اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا أَبْعَجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَهُ تَكَلِيمًا، وَقَالَ آخَرُ: فَعَيْسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعَيْسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لُؤَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مَشْفَعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلْقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُنيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ» (٢٠٩).

(٢٠٧) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٨٣).

(٢٠٨) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٤٤١٣).

(٢٠٩) أخرجه الدارمي في «سننه»: (٤٨).

وفي حديثٍ إلى أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - من حديث الإسراء، في قول الله تعالى لنبيه ﷺ: «إني اتخذتك خليلاً فهو مكتوبٌ في التوراة: حبيبُ الرحمن».

وذكر ابن فورك: عَنِ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَامًا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحَبَةِ وَالْخَلَّةِ.. وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْخَلِيلُ» يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]، و«الحبيب» يصل إليه به، من قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩].

وقيل: الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢]، والحبيب هو الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ٢].

والخليل قال ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٧]. والحبيب قيل له ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ وَالنَّبِيَّ ﴿٨﴾﴾ [التحریم: ٨] فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حَسْبِيَ اللَّهُ والحبيب قيل له ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤] الخليل قال ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]. والحبيب قيل له ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] أعطي بلا سؤال والخليل قال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] والحبيب قيل له ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ذكر تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود

ما ذكره من تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود و قال قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ الْآيَاتِ

فَتَهَجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء: ٧٩].

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ» (٢١٠).

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، فَقَالَ: «هِيَ الشَّفَاعَةُ» (٢١١).

وروى أحمد: «عن كعب بن مالك عنه ﷺ يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَ أُمَّتِي عَلَى نَلٍّ، يَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤَذِّنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ» (٢١٢).

وذكر روايات أخرى في ذلك منها رواية أحمد عن ابن مسعود: «أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ قِيَامُهُ ﷺ عَنِ الْوَسْطِ عَنِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغِيبُهُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ ثُمَّ قَالَ وَعَنْ أَبِي مُوسَى فِي رُؤَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ خَيْرٌ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ أَوْ يَدْخُلُ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعْمُ وَأَكْفَى، أَتَرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟! لا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَائِينَ» (٢١٣).

(٢١٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٧١٨).

(٢١١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢ / ٤٤١ و ٥٢٨).

(٢١٢) أخرجه أحمد في «مسنده»: (١٥٧٨٣).

(٢١٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٥٤٥٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَا يُهْمُنِي مِنْ انْتِصَافِهِمْ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبُهُ» (٢١٤).

وعن أم حبيبة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قال رسول ﷺ: «قال أُرِيتُ مَا يَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، وَسَفَكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُؤَلِّمَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً فِيهِمْ فَفَعَلَ» (٢١٥).

عَنْ حُدَيْفَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ، فَأُولَ مَدْعُو بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ: لِيَبِكْ وَسَعْدِيكَ فَالْخَيْرِ فِي يَدَيْكَ، وَالْمُهْدِي مِنْ هَدَيْتِ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، مِنْكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبُّ الْبَيْتِ. فَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمُحْمُودِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ» (٢١٦).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «يُنْصَبُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرٌ مِنْ ذَهَبٍ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَبْقَى مَنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مُنْتَصِبًا مَخَافَةَ أَنْ يُبْعَثَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ وَتَبْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مُحَمَّدُ وَمَا تَرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ عَجَّلْ حَسَابَهُمْ، فَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَحَتَّى أَنْ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِلنَّارِ لَغْضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ بَقِيَّةٍ» (٢١٧).

(٢١٤) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٢٣٣).

(٢١٥) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٢٢٧)، الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤٠٩).

(٢١٦) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٣٣٨٤)، الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤٠٩).

(٢١٧) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٢٢٠).

وفي الحديث المنشور الصحيح « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً يَدْعُو بِهَا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْبَأَ دَعْوَتِي
شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢١٨)، ودعوته هذه مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة جزاه الله
أحسن ما جرى نبياً عن أمته ﷺ.

(٢١٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٧٤٧٤).

ذكر تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة

ومما ذكر من تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة، ما رواه أبو داود عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» (٢١٩).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة: «الْوَسِيلَةُ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ» (٢٢٠).

وعن أنس كما في البخاري قال «قال رسول الله ﷺ بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرّ الجوّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك، فإذا طينه - أو طيبه - مسك أدفر شك هُدْبَةٌ» (٢٢١).

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله مع زيادة قوله ﷺ «وَجَرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» (٢٢٢).

وفي رواية عن النبي ﷺ: «فَإِذَا هُوَ يَجْرِي أَيَّ عَالِي وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَمْ يُشَقِّ شَقًّا، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي» (٢٢٣).

ثم ذكر صاحب الشفا - رحمه الله تعالى - روايات أخرى في حوضه وكوثره ﷺ يراجعها من شاء.

(٢١٩) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٣٨٤).

(٢٢٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٢).

(٢٢١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٥٨١).

(٢٢٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٣٦١).

(٢٢٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: (٧٥).

ذكر أسماؤه الشريفة وما تضمنية من فضيلته ﷺ

عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمَحَى بِِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ» (٢٢٤).

وقد سماه الله في كتابه محمد أو أحمد فمن خصائصه تعالى له ﷺ أن ضمن أسماؤه ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره.

فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ وَمُحَمَّدٌ مَفْعَلٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ فَهُوَ ﷺ أَجَلُّ مِنْ حَمْدٍ وَأَفْضَلُ مِنْ حَمْدٍ وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا فَهُوَ أَحْمَدُ الْمُحْمَدِينَ وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ وَمَعَهُ لُؤَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ.

وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ يُحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ هُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمُحَامِدِ كَمَا قَالَ ﷺ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ وَسَمِيَ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَادِينَ فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ.

أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَمَنْعَ اللَّهِ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُو قَبْلَهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وَجُودِهِ ﷺ وَمِيلَادِهِ أَنْ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وأما قوله: وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر فسّر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعده أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو بمعنى: الظهور والغلبة، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ [الفتح: ٢٨]

و في حديث آخر «لِي عَشْرَةٌ أَسْمَاءٍ فَذَكَرَ الْخَمْسَةَ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ قَالَ وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ الرَّاحَةِ وَرَسُولُ الْمَلَا حِمٍ وَأَنَا الْمُقَفِّي فَفِيَتْ النَّبِيِّينَ وَأَنَا قُتْمٌ»، والقسم الجامع الكامل.

وقد وقع في كتب الأنبياء، أن داود - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: «اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفِتْرَةِ فَقَدْ يَكُونُ الْقِيَمُ بِمَعْنَاهُ».

وفي حديث آخر: «زِيَادَةُ الْمُدْتَرِّ وَالْمُرْمَلِ وَعَبَدَ اللَّهُ»، وفي حديث آخر زيادة «خاتم». وفي حديث آخر زياد: «نَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ وَنَبِيُّ الرَّاحَةِ»، وكله صحيح إن شاء الله تعالى.

ونبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة - فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم

إلى صراط مستقيم و بالؤمنين رؤوف رحيم.

وقد قال في صفة أمته «أمة مرحومة»^(٢٢٥) وقال فيهم ﴿تُرَكَّانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ [البلد: ١٧]. أي: يرحم بعضهم بعضاً فبعثه ﷺ ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيماً لهم ومترحمًا ومستغفرًا لهم ووصف أمته بالرحمة وأمرها بالترحم وأثنى عليها فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»^(٢٢٦).

وقال «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنَ السَّمَاءِ»^(٢٢٧).
وأما رواية نبي الملحمة فأشارة إلى ما بعث به ﷺ من القتال والسيوف وهي صحيحة.
وروى الحربي في حديثه عليه الصلاة والسلام «أَنَّهُ قَالَ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ أَنْتَ قُتْمٌ أَيْ تَجْمَعُ»^(٢٢٨) قال والقشوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم.

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من ألقابه وسماته ﷺ غير ما ذكرناه : كالنور، والسراج المنير، والمنذر، والنذير، والمبشر، والبشير، والشاهد، والشهيد، والحق المين، وخاتم النبيين، والرؤف الرحيم، والأمين، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبي الأمي، وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة.

وجرى منها في كتب الله المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسوله ﷺ وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته ﷺ بالمصطفى، والمجتبى، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمنقى، والمصلح، والظاهر، والمهيمن، والصادق، والصدوق،

^(٢٢٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٤٢٧٨) .

^(٢٢٦) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢١٧٧٦) .

^(٢٢٧) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦٤٩٤) .

^(٢٢٨) أخرجه السيوطي في «الخصائص الكبرى»: (١١١ / ١)

والحماد، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة، وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج والمعراج، واللواء والقضيب، وراكب البراق والناقة والنجيب، وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان، وصاحب النعلين، والهرابة.

والهرابة في اللغة: العصا، وأراها والله أعلم أنها المذكورة في حديث الحوض: «أذودُ النَّاسَ عَنْهُ بِعَصَايَ لِأَهْلِ الْيَمِينِ»^(٢٢٩).

وأما التاج فالمراد به: العمامة ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب العمائم تيجان العرب. قال القاضي عياض: - رحمه الله تعالى - : وأوصافه وألقابه وسماته ﷺ في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله تعالى : وكانت كنيته ﷺ المشهورة أبا القاسم. روي عن أنس -رضى الله عنه- «لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ»^(٢٣٠).

^{٢٢٩} أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٤٧)

^{٢٣٠} أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٤١٨٨)

فائدة في الفرق بين صفات الخالق والمخلوق

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر ما خلعه الله على نبيه سيدنا محمد ﷺ من أسمائه الحسنی: «وَمَا أَنَا أَذْكَرُ نُكْتَةً أُذْيَلُ بِهَا هَذَا الْفَضْلَ، وَأَخْتِمُ بِهَا هَذَا الْقِسْمَ، وَأَزِيحُ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْ كُلِّ ضَعِيفِ الْوَهْمِ، سَقِيمِ الْفَهْمِ، يَخْلُصُهُ مِنْ مَهَاوِي التَّشْبِيهِ، وَتُزَحِّزُهُ عَنْ شُبُهَةِ التَّمْوِيهِ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيائِهِ وَمَلَكُوتِهِ، وَحُسْنَى أَسْمَائِهِ، وَعُلْيَى صِفَاتِهِ، لَا يُشْبَهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُشْبَهُ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِمَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابَهَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِي إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيمِ بِخِلَافِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ.

فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَا تَشْبَهُ الذَّوَاتِ، كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبَهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، إِذْ صِفَاتُهُمْ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْأَعْرَاضِ «١» وَالْأَعْرَاضِ وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ: «التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ مُشَبَّهَةٍ لِلذَّوَاتِ وَلَا مُعْطَلَّةٍ عَنِ الصِّفَاتِ» .

وَزَادَ هَذِهِ النُّكْتَةَ الْوَاسِطِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيَانًا وَهِيَ مَقْصُودُنَا فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَأَسْمِهِ اسْمٌ وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظِ». وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ، كَمَا اسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحَدَّثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - .
وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلَهُ هَذَا لِيَزِيدَهُ بَيَانًا فَقَالَ: «هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَكَيْفِ تَشْبِهِ ذَاتِهِ ذَاتَ الْمُحَدَّثَاتِ وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَغْنِيَةٌ!!» .

وَكَيْفَ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الْخَلْقِ، وَهُوَ لِعَبْرِ جَلْبِ أَنْسٍ أَوْ دَفْعِ نَقْصِ حَصْلِ، وَلَا يَخُوطِرُ وَأَغْرَاضٍ وَجِدَ وَلَا بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ ظَهَرَ، وَفِعْلُ الْخَلْقِ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ. وَقَالَ آخَرُ مِنْ مَشَائِحِنَا: «مَا تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، أَوْ أَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُحَدَّثٌ مِثْلُكُمْ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: «مَنْ اطمَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبَّهٌ، وَمَنْ اطمَنَّ إِلَى النَفِيِّ الْمُحْضِ فَهُوَ مُعْطَلٌّ، وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحَّدٌ».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ: «حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَشْيَاءِ بِلا عِلَاجٍ، وَصُنْعُهُ لَهَا بِلا مِزَاجٍ وَعِلَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلَا عِلَّةٌ لِصُنْعِهِ، وَمَا تُصَوِّرُ فِي وَهْمِكَ فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ»

وَهَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ نَفِيسٌ مُحَقَّقٌ وَالْفَضْلُ الْآخَرُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى: ١١].

وَالثَّانِي تَفْسِيرُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَالثَّلَاثُ تَفْسِيرُ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٠﴾

[النحل: ٤٠].

ثَبَّتْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ وَالتَّنْزِيهِ وَجَنَّبْنَا طَرَفِي الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ مِنْ

التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بِمَنْهَ وَرَحْمَتِهِ.

الاستدلال بكثرة معجزاته وأوصافه الجميلة على صحة نبوته ﷺ

في هذه السطور نثبت في أمهات معجزاته ﷺ ومشاهير آياته؛ لندل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق، كما أضفنا إليها بعض ما وقع من مشاهير كتب الأئمة، وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره، وبراعة عقله ورجاحته، وحله وجملة كماله، وجميع خصاله وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمتز في صحة نبوته وصدق دعوته، وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به.

روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن سلام قال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ» (٣٣١).
وعن أبي رمثة التميمي - رضي الله عنه - قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِيَ ابْنُ لِي فَأَرَيْتُهُ، فَقُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ: هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ» (٣٣٢).

وروى مسلم وغيره: «أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هُوَ لَا، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَاهِنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هُوَ لَا، وَلَقَدْ بَلَغَنَّا عَوْسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعُكَ» (٣٣٣).

(٣٣١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٤٨٥).

(٣٣٢) أخرجه السيوطي في «الجامع الكبير»: (١٢/٢٢).

(٣٣٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٨٦٨).

وقال جامع بن شداد : «كَانَ رَجُلٌ مِّنَّا يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ ﷺ هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِعُونَهُ قُلْنَا هَذَا الْبَعِيرُ قَالَ بِكُمْ؟ قُلْنَا بَكَذَا وَكَذَا وَسَقَا مِن تَمْرٍ فَأَخَذَ بِخَطَامِهِ وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقُلْنَا بَعْنَا مِنْ رَجُلٍ لَا نَدْرِي مَنْ هُوَ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ فَقُلْتُ أَنَا ضَامِنٌ لِثَمَنِ الْبَعِيرِ رَأَيْتُ وَجَهَ رَجُلٍ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَخِيسُ بِكُمْ فَأَصْبَحْنَا فَجَاءَ رَجُلٌ بِتَمْرٍ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ يَا مُرُكُمُ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ هَذَا التَّمْرِ وَتَكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا فَفَعَلْنَا».

وَفِي خَبَرِ الْجُلَنْدِيِّ مَلِكِ عُمَانَ قَالَ : «لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ الْجُلَنْدِيُّ وَاللَّهِ لَقَدْ دَلَّنِي عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ وَلَا يَنْهَى عَنِ شَرٍّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلَا يَبْطُرُ وَيُغْلَبُ فَلَا يَضْجَرُ وَيَفِي بِالْعَهْدِ وَيُنْجِزُ الْمَوْعُودَ وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ».

وقال نفطويه في قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ يقول تعالى : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرءانا كما، قال ابن رواحة -رضي الله عنه- :

وَلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُّبِينَةٌ... لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِئُكَ بِالْخُبْرِ

وصف معجزاته ﷺ بالإجمال وأعظمها القرآن

ساق القاضي عياض - رحمه الله تعالى - معجزات النبي ﷺ أحسن سياق، وذكرها على أتم الوجوه، وابتدأ ببيان إعجاز القرآن، وأتى من وجوه إعجازه الكثيرة على ما يتيقن كل منصف اطلع عليه أنه كلام الله حقاً، وليس في استطاعة أحد من خلق الله تعالى الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

وذكر بعده من أنواع معجزاته ﷺ انشقاق القمر، وحبس الشمس، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتفجر الماء ببركته، وانبعثه بمسه ودعوته، وتكثير الطعام ببركته ودعائه، وكلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته، وقصة حنين الجذع وما وقع من سائر الجمادات وأنواع الحيوانات من المعجزات، وإحياء الموتى، وإبراء المرضى وذوي العاهات، وإجابة دعائه ﷺ وانقلاب الأعيان فيما لمسه أو باشره، وما اطلع عليه من الغيوب فيما كان وما يكون.

في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواياتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه: «اسكُتْ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُخْبِرُهُ لَأَخْبَرْتُهُ حِجَارَةَ الْبَطْحَاءِ».

ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه، وسياسة عبادته و مصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل، والجبارة والقرون الماضية من لدن آدم - عليه السلام - إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم وسرد أنبيائهم وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكماهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب لما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبئات علومهم، وأخبارهم بما كتموه من ذلك

وغيره إلى الاحتواء على لغة العرب وغريب ألفاظ فرقتها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البينة بتقريب التفهم للغامض، والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه، ولا تحاذل فيما أنزل عليه مع اشتغال شريعته ﷺ على محاسن الأخلاق، ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له، وكافر من الجاهلية به ﷺ إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه .

ثم ما أحل لهم من الطيبات، وحرم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً، والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب، مع الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة أي تعبير الرؤيا والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه ﷺ فيها قدوة وأصولاً في علمهم.

ثم ذكر - رحمه الله تعالى - جملة أحاديث تتعلق بالفنون التي ذكرها، وأتبعها بأنبائه وآياته ﷺ مع الملائكة والجن.

ثم أتبع ذلك بدلائل نبوته وعلامات رسالته، وما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار وعلماء أهل الكتاب من صفته، وصفة أمته، واسمه وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وُجدَ في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين، ومما أخبر به الكهان، وسُمِعَ من هواتف الجن، وما وُجدَ من اسم النبي ﷺ والشهادة له بالرسالة مكتوبة في الحجارة والقبور بالخط القديم، ما أكثره مشهور ومعلوم عند من اطلع على سيرته الشريفة ﷺ .

ذكر ما ظهر عند ولادته ﷺ من الآيات وخوارق العادات

ومن ذلك ما ظهر من الآيات وخوارق العادات عند مولده ﷺ: مَا حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ وَكَوْنُهُ رَافِعاً رَأْسَهُ عِنْدَمَا وَضَعَتْهُ شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ حَتَّى رُؤِيَ مِنْهُ قُصُورٌ بَصْرِيٌّ.

كما رواه الإمام أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة وما رآته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور.

وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وهي قابلته «لَمَّا سَقَطَ ﷺ عَلَى يَدَيَّ وَاسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الرُّومِ»

وما تعرفت به مرضعته حليلة السعدية وزوجها من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها أي ناقتها المسنة وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته.

وما جرى من العجائب ليلة مولده ﷺ كما رواه البيهقي وغيره «مِنْ ارْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى وَسُقُوطِ شُرَفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةٍ وَخُودِ نَارِ فَارِسٍ وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَحْمُدْ» (٢٣٤).

وأنه ﷺ «كَانَ إِذَا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا وَإِذَا غَابَ فَأَكَلُوا فِي غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا وَكَانَ سَائِرٌ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ يُصْبِحُونَ شَهْنًا وَ يُصْبِحُ ﷺ صَقِيلاً دَهِينًا كَحَيْلًا».

قالت أم أيمن حاضنته: «مَا رَأَيْتُهُ ﷺ اشْتَكَى جُوعًا وَلَا عَطَشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا».

ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد معه عند الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك

وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه البخاري ومسلم «عن جابر إذ أخذ ﷺ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط على الأرض حتى رد إزاره عليه، فقال له عمه العباس: ما بالك؟ قال: إني مُهيت عن التعرى».

ومن ذلك إضلال الله تعالى له بالغمام في سفره كما رواه الترمذي وغيره وفي رواية «أنَّ خديجة رضي الله عنها ونساءها رأينه ﷺ لما قدم أي من الشام ومكان يُظللانه فذكرت ذلك لميسرة غلامها فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره» (١٣٥).

وقد روى «أنَّ حليمة رأت غمامة تُظللُّه وهو عندها».

وروي ذلك عن أخيه من الرضاة.

ومن ذلك «أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرفت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته».

وما دُكر من أنه ﷺ كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر؛ لأنه كان نوراً وأنَّ الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه، ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوجي إليه أي بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين، ثم إعلامه بموته ودنو أجله كما في الصحيحين أيضاً وأن قبره بالمدينة وفي بيته، وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وتخيير الله تعالى له ﷺ عند موته أي بين الدنيا والآخرة «فاختار الآخرة وقال اللهم الرفيق الأعلى» (١٣٦)، وهي آخر كلمة تكلم بها ﷺ.

وما اشتمل عليه حديثُ الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا

(١٣٥) أخرجه السيوطي في «مناهل الصفا»: (١٧٢).

(١٣٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٤٦٣).

الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ وَمَا رُوِيَ مِنْ تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ
عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَأَسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِعَمِّهِ وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ
بذريته.

ذكر ترجيح معجزاته ﷺ على الرسل بكثرتها وعظمتها

ومعجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:
أحدهما: كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها، وقد
نبه الناس على ذلك.

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه سورة ﴿إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ [الكوثر: ١]

وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيّف
وعدد كلمات ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١] عشر كلمات فيجزأ القرآن على نسبة
عددها أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه، ثم إعجازه بطريق بلاغته،
وطريق نظمه فتضاعف العدد، ثم فيه وجوه إعجاز أخرى من الإخبار بعلوم الغيب
فتضاعف العدد كراً أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخرى توجب التضعيف هذا في حق
القرآن، فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه.

ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة في هذه الأبواب تبلغ نحواً من هذا
التضعيف.

الوجه الثاني: وضوح معجزاته ﷺ فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل
زمانهم وبحسب الفن الذي قد سما فيه قرنه، فلما كان زمن موسى -عليه السلام- غاية علم
أهله السحر، بُعِثَ إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما
خرق عاداتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم.

وكذلك زمن عيسى -عليه السلام- أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء.

ثم إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا عملوا في أساليب الأوزان منهجه.

ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبئات فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرًا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم.

وجاء من الأخبار عن القرون السابقة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة، والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه.

ثم بقيت هذه المعجزة ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه ﷺ على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا قال ﷺ « ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » (٣٣٧).

وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا ﷺ إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخيل فيه، ولا التجميل عليه، ولا التشبيه؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا بما يخيله الساحر أو يتحيل فيه. والقرآن كلام الله تعالى ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه أظهر من غيره من المعجزات، فترك العرب معارضتهم إياه ورضاهم بالبلاء والجلاء، والسبأ، والإذلال، وتغيير الحال، وسلب النفوس والأموال، والتقريع والتوبيخ والتعجيز، والتهديد والوعيد بين آية للعجز عن الإتيان بمثله والحمد لله رب العالمين.

ثم ختم القاضي عياض - رحمه الله تعالى - جواهره المذكورة في «الشفاء» بما يجب على الناس من حقوقه ﷺ والإيمان به، وطاعته، واتباع سنته، ولزوم محبته، ومناصحته، وتعظيم أمره، ووجوب توقيره وبره، ولزوم حرمة ﷺ بعد موته، وإعظام جميع ما يُنسب إليه، وحكم الصلاة والتسليم عليه ﷺ، وفضل زيارة قبره وعصمته، وما يجب له ﷺ وما يستحيل في حقه وما يمتنع، وعقاب من سبه أو تنقصه ﷺ بالقتل ونحوه، ثم ختم ذلك بفصل قال فيه: سب أهل بيته ﷺ وأزواجه وأصحابه وتنقصهم حرام ملعون فاعله، فمن أراد المزيد يذهب إلى «الشفاء» .

خاتمة

قال الإمام النبهاني : والحاصل أن القاضي عياض -رحمه الله تعالى- قد شرح في كتابه «الشفاء» من فضائله ﷺ ومعجزاته وأحواله ﷺ ما لا يستغني مسلم عن الاطلاع عليه والانتفاع به، فإنه فريد في هذا الباب، وقد أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول وهو أول كتاب أُفِّ من هذه الكتب المختصة بفضل الرسول ﷺ، نعم كتاب «المواهب اللدنية» لا يفضله كتاب في هذا الباب، لكن الفضل لمن تقدم... والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر

- (١)- « جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ »، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني « ت: ١٣٥٠ هـ »، تحقيق: محمد أمين الضناوي، الطبعة الأولى: (١٤٤٢ هـ / ٢٠١٠ م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- (٢)- « الشفا بتعريف حقوق المصطفى »، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤ هـ)، الطبعة: الثانية: (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م)، طبعة دار الفيحاء - عمان .
- (٣)- « سنن الترمذي » لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي « ت: ٢٧٩ هـ »، تحقيق: بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى: (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان .
- (٤)- « سنن ابن ماجه » لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المعروف: بابن ماجه « ت: ٢٧٣ هـ »، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر .
- (٥)- « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري « ت: ٢٥٦ هـ »، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، الطبعة الأولى: (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)، طبعة دار طوق النجاة، بيروت - لبنان .
- (٦)- « المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ » لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري « ت: ٢٦١ هـ »، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .
- (٧)- « التاريخ الكبير » لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري « ت: ٢٥٦ هـ »، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون ، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن - الهند .
- (٨)- « المدخل إلى علم السنن » لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي « ت: ٤٥٨ هـ »، تحقيق: محمد عوامة ، الطبعة الأولى: (١٤٣٧ هـ / ٢٠١٧ م)، طبعة دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر .

- (٩)- «تفسير السلمي المسمى : حقائق التفسير»، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، الطبعة الأولى: (١٤٢١هـ) - ٢٠٠١م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- (١٠)- «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لمحيي السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .
- (١١)- «مسند البزار» لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، المعروف : بالبزار «ت: ٢٩٢هـ»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، «حقق الأجزاء من ١ إلى ٩»، وعادل سعد «حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧»، وصبري عبد الخالق «حقق الجزء ١٨»، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية.
- (١٢)- «دلائل النبوة» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي «ت: ٤٥٨هـ»، تحقيق : عبد المعطي قلعي، الطبعة الأولى : (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة - مصر .
- (١٣)- « صحيح ابن حبان » لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي «ت: ٣٥٤هـ»، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية : (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .
- (١٤)- «مسند أبي يعلى»، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلبي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، طبعة : دار القبلة - جدة .
- (١٥)- « المسند » لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل «ت: ٢٤١هـ»، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وآخرون ، الطبعة الأولى : (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .

(١٦)- «الفردوس بمأثور الخطاب» لأبي منصور بن الحافظ المؤرخ أبي شجاع الديلمي
 الهمذاني «ت: ٥٠٩ هـ»، تحقيق: السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى: (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)،
 طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(١٧)- «المعجم الكبير»، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي
 الطبراني «ت: ٣٦٠ هـ»، تحقيق: حمدي عبد المجيد، الطبعة الثانية: (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)، طبعة
 مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.

(١٨)- «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن
 قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (ت:
 ٩٧٥ هـ)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، الطبعة الخامسة: (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، مؤسسة
 الرسالة.

(١٩)- «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني»، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن
 إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي،
 عبد البر عباس، الطبعة الثانية: (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، طبعة: دار النفائس، بيروت.
 (٢٠)- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن
 إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ)، الطبعة الأولى: (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)،
 طبعة مكتبة السعادة - مصر.

(٢١)- «الطبقات الكبرى»، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي
 المعروف: بابن سعد «ت: ٢٣٠ هـ»، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى: (١٣٨٧ هـ /
 ١٩٦٨ م)، طبعة دار صادر، بيروت - لبنان.

(٢٢)- «الجامع لشعب الإيمان» للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي «ت:
 ٤٥٨ هـ»، تحقيق: مختار أحمد الندوي - عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى:
 (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م)، طبعة مكتبة الرشد، الرياض - السعودية.

(٢٣)- « المستدرک علی الصحیحین » لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري « ت: ٤٠٥ هـ »، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: (١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣٤)- « الشئائل المحمدية والخصائل المصطفوية »، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، الطبعة الأولى: (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، طبعة المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة.

(٣٥)- « المصنف » لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، المعروف: بابن أبي شيبة « ت: ٢٣٥ هـ »، تحقيق: محمد عوامه، الطبعة الأولى: (١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)، طبعة دار القبلة، جدة - السعودية .

(٣٦)- « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني « ت: ٨٥٢ هـ »، تحقيق: محمد حسن محمد، الطبعة الأولى: (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

(٣٧) « الشريعة » لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي البغدادي « ت: ٣٦٠ هـ »، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان، الطبعة الثانية: (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م)، طبعة دار الوطن، الرياض - السعودية .

(٣٨)- « المعجم الأوسط » لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني « ت: ٣٦٠ هـ »، تحقيق: طارق عوض - محسن الحسيني، الطبعة الأولى: (١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)، طبعة الحرمين، القاهرة - مصر .

(٣٩)- « سنن النسائي الكبرى » لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي « ت: ٣٠٣ هـ »، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى: (١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان .

- (٤٠)- «مكارم الأخلاق»، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس
 البغدادي الأموي القرشي المعروف: بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم،
 طبعة مكتبة القرآن - القاهرة .
- (٤١)- «الزهد»، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت :
 ٢٤هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى: (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، طبعة
 دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- (٤٢)- «أخلاق النبي وآدابه»، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري
 المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني: (المتوفى: ٣٦٩هـ)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، الطبعة الأولى
 : (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع .
- (٤٣)- «المراسيل»، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو
 الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى: (١٤٠٨ هـ
 / ١٩٩٠ م)، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت .
- (٤٤)- «المسند»، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري «ت: ٢٠٤هـ
 »، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى: (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م)، طبعة دار هجر،
 القاهرة - مصر .
- (٤٥)- «جامع الآثار في السير ومولد المختار»، لشمس الدين محمد بن عبد الله بن مجاهد
 القيسي الدمشقي الشافعي الشهير: بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: أبو يعقوب نشأت
 كمال، الطبعة الأولى: (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م)، طبعة دار الفلاح .
- (٤٦)- «سنن الدارمي»، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد
 الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي «ت: ٢٥٥هـ»، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى :
 (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، طبعة دار المغني، الرياض - السعودية .

(٤٧)- «صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم»، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف: بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة، الطبعة الأولى: (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، طبعة دار البشير - مؤسسة الرسالة .

(٤٨)- «الخصائص الكبرى»، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤٩)- «الاعتقاد»، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى: (١٤٠١هـ / ١٩٨٠ م) مكتبة دار الآفاق الجديدة - بيروت .

(٥٠)- «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا»، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: الشيخ سمير القاضي، الطبعة الأولى: (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، طبعة دار الجنان للنشر والتوزيع .

تطبيق
سيدنا الحبيب

منصات
نور المحبين



أوصاف سيدنا النبي

صلى الله عليه وسلم

إنَّ في كتاب الله - عز وجل - آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر صفات المصطفى ﷺ وعدِّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره، ذكر منها العلماء ما ظهر معناه، وبان فحواه، وها نحن نقتصر في هذه الرسالة على أكثر هذه الخصال والصفات فائدة، وأولها بالذکر، فإن الحديث عن فضائل الحبيب ﷺ وصفاته وشمائله لا يسعها كتاب، ولا يفصح عن حقائقها لسان، والله در البوصيري، حينما قال :

فإنَّ فضل رسولِ اللهِ ليس له حدٌّ فيُعرب عنه ناطقٌ بفمِّ



الهيئة للنشر والتوزيع
AL HALA PUBLISHING & DISTRIBUTION

